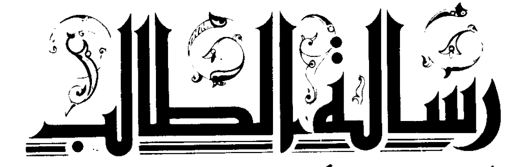


العدد الأول جمادى الاولى ١٤٠٦ هـ - يناير ١٩٨٦ م

شذرات من علوم السنة

١

بقلم الدكتور محمد الأحمدي أبو النور

وزير الاوقاف ورئيس المجلس الاعلى للشئون الاسلامية - القاهرة

طبعة فاخرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه . أولئك هم المفلحون .

وبعد ..

فستظل حاجتنا الى السنة النبوية وعلومها لازمة دائمة – كحاجتنا الى الكتاب العزيز – وعلومه – الى ان يرث الله الأرض ومن عليها .

ولئن كان القرآن روحا من أمر الله ، ووحيا من لدنه سبحانه ، يهدى الى التى هى أقوم فى العقيدة والتشريع والأخلاق والسلوك فلقد كانت السنة – كذلك – وحيا وفى حكم الوحى ، وكان شأنها – مع القرآن – شأن البيان مع المبين ، لايسوغ فصلها عنه ، ولافهمه وتطبيقه فى حياة الفرد والجماعة دون الرجوع اليها ، والصدور عنها .

ذلك أن الله تعالى حين أنزل كتابه حدد مهمة نبيه – عليه السلام – من هذا الكتاب فى أمرين :

الأول : تبليغ ماأنزل اليه كما أنزل .

الثانى : بيان ماأنزل اليه ببيان الله عز وجل .

يدل للأول قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾[1]

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾[2]

ويدل للثانى قوله تعالى :

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[3]

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾[4]

---

(١) سورة المائدة : ٦٧ .

(٢) سورة يونس : ١٥ .

(٣) سورة النحل : ٤٤ .

(٤) سورة القيامة : ١٧ – ١٩

وقد صرح النبى صلى الله عليه وسلم بهذا الذى نشير اليه حيث قال :« ألا انى أوتيت الكتاب ومثله معه »[١]

* * *

وهذا – بدوره – يفيد أمرين :

الأول : أن مصدر الكتاب ومصدر المماثل له : واحد ، وحيث أن الله تعالى هو الذى آتى نبيه الكتاب ، **فهو** – سبحانه – الذى آتى نبيه : المماثل لهذا الكتاب .

الثانى : أنه لامعدى – فى تصور المماثلة – عن واحد من اثنين :

١ – اما أن تكون المماثلة للكتاب فى كونه وحيا .

٢ – أو تكون : فى وجوب العمل به كالكتاب العزيز .

غير أن الاحتمال الأول يرجحه قوله تعالى :

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ﴾[٢]

إذ لم ينزل الله مع القرآن الا ماتكفل الله به من بيانه ، وتفصيل

(١) سنن أبى داود ٢٧٩/٤ وقد رواه الترمذى وابن ماجه وغيرهما كما سيأتى .

(٢) سورة البقرة : ٢٣١

اجماله ، وهو السنة النبوية التى أسهمت مع القرآن – عبر العصور – فى رسم المنهج الأقوم للحياة الإنسانية الراشدة .

الحاجة إلى السنة – إذن – قرينة الحاجة إلى القرآن .. أبد الدهر .. وفقه السنة وتطبيقها فى حياة الفرد والمجتمع واجب وجوب فقه القرآن وتطبيقه .

بل هو واجب مع فقه القرآن وتطبيقه .

فكلاهما مكمل للآخر لايغنى عنه ، ولايستقل دونه .

وحياتنا المعاصرة : محيط تتماوج فيه تيارات الإلحاد والزيغ والانحراف ، وتتدافع فيه موجات التحلل والإباحية والفجور ، وتنهار فيه أواصر الترابط الأسرى والاجتماعى ، ويخفت فيه صوت الوازع الدينى ، وتتضاعف عوامل القلق النفسى والاضطراب الفكرى ، ويفتقد فيه الأمن والاستقرار ، ويكثر فيه التعدى على الأنفس والأعراض والأموال ، ويغدو فيه المستمسكون بإهاب الفضائل والقيم كالقابضين على الجمر ، ويمسى فيه أصحاب الطريقة المثلى والدين القيم غرباء فى أوطانهم ، بل جزيرة وسط ذلك المحيط المائج الذى أصبح الباطل فيه حقا ، وغدا المنكر فيه معروفا ، والمعروف منكرا ؟ !

وليس بخاف أن ذلك كله – انما تم – فى غيبة البشرية عن

وعيها الإيمانى ، حيث تأثرت بخديعة الفلسفات المادية على يد « ماركس » و « فرويد » و « دوركايم » فى ميادين الاقتصاد والنفس والاجتماع متأثرين جميعا بداروين وان كان كل قد فلسف تأثره فى ميدانه بل صاغه فى نظرياته ثم أطبقوا جميعا على دعوى شمول التطور لكل شىء ، ووجوب التحرر من إطار كل شىء ، حتى من الدين والخلق والفضائل والآداب .

ومن هنا تعظم الحاجة الى سفينة للنجاة تمخر عباب هذا المحيط المتلاطم حيث ترسو بالإنسان فى مرفأ الأمن والاستقرار والسعادة وحيث يسهم حقا – فى إثراء الحضارة ، وتطوير المجتمع تطويرا يعصم البشرية من مهواة المدنية الحديثة وزيفها ، ويقيها من سلبياتها وضلالها ويضمن لها استقامة المنهج ، ونبل الهدف

﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿٢٢﴾ ﴾ (١)

ليس لنا من معتصم إلا الكتاب والسنة نهتدى بسناهما الى السنن اللاحب ، والصراط السوى فى العقيدة والتشريع والأخلاق والسلوك . فى العلاقات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، فما

---

(١) سورة الملك : ٢٢ .

يقتصر المنهج الإسلامى على تنظيم جانب فى حياة الانسان ، ويترك الجوانب الأخرى .

إن المنهج الإسلامى ربانى المصدر ، إنسانى الهدف ، ومن ثم فهو يفى كل الوفاء بتنظيم علاقات الإنسان ، وجوانب حياته جميعا .

وما أشبه الليلة بالبارحة !

ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

وما أحوج الإنسانية إلى أن تستمع وتتمثل قول خاتم الأنبياء ، وإمام المرسلين :« تركت فيكم ماإن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا : كتاب الله وسنتى

* * *

وحاجتنا الى علوم السنة بالنسبة الى السنة : هى كحاجتنا الى السنة بالنسبة الى القرآن وعلومه : ماسة وأكيدة .

ذلك أن الناظر فى القرآن ، والمتدبر لآياته ، والمتفهم لمعانيه ، لاغنى له عن بيان من صاحب الوحى صلى الله عليه وسلم يرشده ويهديه ، ويبين له – عن الله – معنى مايريد .

كذلك فان الناظر فى السنة ، والدارس للحديث ، لامعدى له

عن معلم يترسمه ، ومنهج يتبعه ، يتوقى به أن ينسب الى النبى صلى الله عليه وسلم مالم يفعله أو يقول عليه مالم يقله ، ثم يميز به صحيح الحديث من سقيمه ، وأصيله من دخيله ، حتى يكامل فى العمل والتطبيق بين ماجاء عن الله فى القرآن ، وماصح عن رسوله من السنة . وبهذا يكون على بينة من ربه ، وعلى بصيرة من أمره .

* * *

والناس – بالنسبة للحديث النبوى – مذاهب شتى :

* فمنهم من يفرط فى الأخذ بالحديث ، أى حديث . صَحّ هذا الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أو لم يصح !

وحسب هذا الفريق أن يقرأ مقالا ، أو يتصفح كتابا ، يتضمن حديثا منسوبا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو اشتهرت نسبته ، ليرويه بدوره دون أن يتحقق من صحة النسبة أو عدم صحتها .

وقد يسمع قائلا ذا مركز دينى أو أدبى يستشهد بالحديث ، أو يؤسس عليه قاعدة ، أو يدعو به الى منهج معين ، فلا يسعه إلا أن يستيقن بصحة النسبة بناء على شهرة القائل أو الراوى !

ولايعرف العلم أى رابطة بين شهرة الراوى ، وبين صحة

الحديث الذى يرويه إنما يتم الحكم بصحة الحديث بتوافر شروط الصحة فيه ، وبتثبت الراوى من توافر هذه الشروط ، وبتحقق وجود الحديث فى مصادره الصحيحة والأصيلة التى يؤخذ عنها ، ويروى منها .

* ومن الناس من يرفض الحديث جملة . إلا ما وافق عقله وهواه ، ولو كان الحديث صحيح النسبة إلى رسول الله . وكلا الفريقين قدشذ عن الحق وند منه الصواب .

* كلا طرفى قصد الأمور ذميم *

* وبعيدا عن الإفراط المسرف الذى يدخل فى الدين ماليس منه . وعن التفريط المجحف الذى يرفض من الدين ماهو منه .

يبرز السنن اللاحب ، والطريق الوسط ، الذى يتغيا الحق دون شطط ! والذى يتمثل فى المنهج العلمى الذى يتبعه أولئك الذين عناهم النبى صلى الله عليه وسلم بقوله « يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه زيف الغالين وتأويل الجاهلين وتحريف المبطلين

* * *

وسيكون هدف هذا الكتاب تبسيط هذا المنهج العلمى ،

وتوضيح الطريق إلى ماصح عن النبى صلى الله عليه وسلم من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، أو وصف ، واماطة اللثام عن الضعيف والموضوع مع بيان القول الفصل فى مسألة ، رواية الحديث الضعيف أو العمل به ، وكيف أنه لايجوز العمل به : لا فى فضائل الأعمال ولا فى غيرها .

مع التركيز الشديد – فى هذه الشذرات – على مايلى :

١ – بيان أن الوحى نوعان : كتاب وسنة ، وأن السنة أخذت مكانتها السامية من كونها النوع الثانى من أنواع الوحى .

٢ – بيان أن السنة إنما بدأ تدوينها مع القرآن ، وعلى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وبأمره وإذنه ، وأن النهى عن كتابة الحديث إنما كان أول الأمر فحسب .

٣ – بيان التدرج التاريخى لرواية الحديث والدراية به إلى يوم الناس هذا .

٤ – بيان أنواع الصحيح ، وأنواع الضعيف ، ومراجع كل منهما ، وطريق الكشف عن كل منهما ، وتمييز هذا من ذاك ، وضرب الأمثلة الكثيرة لما يتوهمه الناس ضعيفا وهو صحيح ، أو يحسبونه صحيحا وهو ضعيف أو موضوع .

٥ – الرد بين الحين والحين على أعداء الاسلام ، وأعداء السنة ، ودحض شبهاتهم .

٦ – ذكر بعض الشذرات الأخرى من قواعد علوم السنة وأصولها التى ترتبط بالمباحث السابقة ، وتشتد اليها حاجة الباحث فى السنة وعلومها .

* * *

مع تبسيط الجديث ، وبذل أقصى الجهد فى تجديد العرض ، وتنويع التمثيل والتطبيق ، وتسليط الضوء على ماتمس اليه حاجة المبتدىء وتجعله أعمق إيمانا بالاسلام وأوثق ارتباطا بالسنة كما تجعله أكثر شوقا ، وأوفر نشاطا ، وأقوى عزما حين يمضى ليستكمل الشوط ، ويمخر عباب المحيط ! !

والله أسأل أن ينفع به ، ويجعله خالصا لوجهه .

فإنه نعم المولى ونعم النصير .

القاهرة فى

٢٩ من ربيع الثانى ١٤٠٦هـ

٩ من يناير ١٩٨٦م

الدكتور محمد الأحمدى أبو النور

وزير الأوقاف

- الوحى : قرآن وسنة .
- أنواع السنة الموحى بها
- أدلة السنة من الوحى .
- طرق الوحى .. وكيف كان الوحى بالسنة .
- وحى القرآن .
- وحى السنة .
- مثال صريح فى السنة الموحى بها وحياً جليا
- مثال آخر للسنة الموحى بها عن طريق الالهام .

الوحى : قرآن وسنة

لقد أوحى الله تعالى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم كتابه العظيم ، كما أوحى إليه - معه بيانه الحكيم ، إتماما للنعمة ، ومنعا للقول فى كتاب الله ودينه بغير ماجاء عن الله ورسوله

ولقد امتن الله على الأمة بما أوحى اليها من القرآن والسنة .

والسنة هى الحكمة المبينة للقرآن ، والمتكاملة معه فى توضيح المنهج الأقوم لتنظيم شئون هذه الحياة فى العقيدة وفى التشريع وفى الأخلاق وفى السلوك .

امتن الله بالقرآن والسنة ونظمهما – معا فى عقد واحد ، وجعل مناط هذا الامتنان هو كونهما أنزلا معا على نبينا ﷺ – دون أن يقتصر الإنزال والوحى على القرآن وحده .

هذا مايشير اليه قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ﴾[١]

ولهذا اعتبرت السنة هى المفسر الثانى للكتاب العزيز بعد الكتاب

---

(١) سور البقرة : ٢٣١

العزيز نفسه ، قال ابن كثير : « فان قال قائل : فما أحسن طرق التفسير ؟ فالجواب : أن أصح الطرق فى ذلك : أن يفسر القرآن بالقرآن فماأجمل فى مكان فانه قد بسط فى موضع آخر فان أعياك ذلك فعليك ، بالسنة ، فإنها شارحة للقرآن ، وموضحة له ، ولهذا قال ﷺ : (ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه) .

يعنى السنة .

والسنة – أيضا تنزل عليه بالوحى كما ينزل القرآن ، إلا أنها لاتتلى كما يتلى القرآن »[١]

وقد كان صلوات الله وسلامه عليه معلق القلب بالقرآن ، وكان لفرط حبه إياه يشفق حين يتلقاه من جبريل عليه السلام أن لايتمكن من جمعه وحفظه مع مايعانى حالتئذ من شدة التنزيل ، وعسر الحفظ ، فكان يعاجل بالقراءة عقب انتهاء جبريل من كل كلمة ومن كل آية فيحرك لسانه وشفتيه بالقراءة حتى يتمكن من حفظه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾[٢]

(١) تفسير ابن كثير ٣/١ .

(٢) سورة القيامة : ١٦ – ١٩

أى لاتردد كلماته وآياته قبل أن ينتهى جبريل من وحيه ، لتسارع بأخذه

﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾[1]

إن علينا جمعه وضمه فى صدرك ، بتيسير حفظك له .

إن علينا – كذلك – قرآنه ، أى قراءته : أى تيسير قراءتك له بعد ذلك .

فإذا قرأناه : أى قرأه جبريل عليك بأمرنا وتكليفنا ، وانتهت قراءته ، فاتبع قراءته ، واقرأ أنت .

ثم إن علينا بيانه : أى بيانه واظهاره بلسانك فتقرؤه كما أقرأك جبريل ، وعلينا كذلك بيانه أن تبيين مافيه من الأحكام ، ومايتعلق بها من الحلال والحرام ، والتفصيل والإجمال والتقييد والإطلاق ، وماالى ذلك .

والبيان بهذا المعنى الثانى هو ماتكفلت به السنة .

قال ابن حجر : « قوله : (بيانه) جنس مضاف فيعلم جميع أصنافه من اظهاره وتبيين أحكامه ، ومايتعلق بها من تخصيص وتقييد ونسخ وغير ذلك »[2] .

---

(١) سورة طه : ١١٤ .

(٢) فتح البارى ٨/ ٥٥٥ .

والظاهر – كما ذكر ابن حجر : أن نزول هذه الآيات كان فى صدر الاسلام وقد استنبط هذا من أمور :

الأول : أن سورة القيامة مكية بالاتفاق .

والثانى : ايراد البخارى لحديث معالجة الرسول لشدة الوحى فى كتاب بدء الوحى [1] .

---

(١) فقد روى البخارى بسنده من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : « **لاتحرك به لسانك لتعجل به** » قال « كان رسول الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه فقال ابن عباس : فأنا أحركهما لك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما ، وقال سعيد : أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما فحرك شفتيه [قال ابن عباس] فانزل الله عز وجل : « **لاتحرك به لسانك لتعجل به . إن علينا جمعه وقرآنه** » .

قال : جمعه لك فى صدرك وتقرؤه ، « **فاذا قرأناه فاتبع قرآنه** » . قال : فاستمع له وانصت ، « **ثم إن علينا بيانه** » : ثم ان علينا أن تقرأه .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم – بعد – إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبى ﷺ كما كان قرأ » .

راجع صحيح البخارى : باب بدء الوحى ١/ ٢٧ – ٢٨ بهذا السياق وكتاب التفسير : سورة القيامة ٨ / ٥٥٢ – ٥٥٤ بروايات عديدة مختصرا ومطولا ، وكتاب فضائل القرآن : باب الترتيل فى القراءة وقوله تعالى : « **ورتل القرآن ترتيلا** » (المزمل : ٤) ٩/ ٧٣ ومسلم فى كتاب الصلاة باب الاستماع للقراءة ١/ ٣٣٠ ، وأبو داود الطيالسى رقم ٢٦٢٨ ص ٣٤٢ ، وجامع الترمذى كتاب التفسير : باب سورة القيامة ٥/ ٤٣٠ وعقب عليه الترمذى بقوله هذا حديث حسن صحيح وزاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم ٦/ ٥٨١ – ٥٨٤ ، وتفسير ابن كثير ٤/ ٤٤٩ ، وزاد المسير ٨ / ٤٢١ – ٤٢٢ .

=

الثالث : أن رواية ابن عباس للحديث توحى بأنه لم يشهد حال النبى صلى الله عليه وسلم وقت التنزيل ، وإنما حكيت له من الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ينبىء عن ذلك قوله : وكان مما يحرك شفيته .. فأنا أحركهما لك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما - وهذا فى حديثه لسعيد بن جبير .

أما سعيد بن جبير فيقول : أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما ، وذلك لأن سعيدا شهد تحريك ابن عباس لشفيته .

ويؤكد هذا أن مولد ابن عباس رضى الله عنهما لم يكن الاقبل الهجرة بثلاث سنوات .

* * *

على أية حال فإنه منذ بدأ الوحى يتنزل - تكفل الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بجمعه فى صدره وتيسير اقرائه له ، فلم يتفلت منه شىء ، ولا نسى منه شىء ، كما قال تعالى :

﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝ ﴾ (1)

= وقوله : « وكان ممايعالج » المعالجة : محاولة الشىء بمشقة ، « ومن » فى قوله « مما » لابتداء الغاية « وما » مصدرية أى كان العلاج ناشئا من تحريك الشفتين أى مبدأ العلاج منه .

أو كما قيل - ان « من » اذا دخلت على « ما » كان معناهما ربما . وهذه تطلق على القليل والكثير . وهى هنا للتكثير . فالمعنى : وكثيرا ماكان يحرك .. الخ .

(١) سورة الأعلى : ٦

كما تكفل الله تعالى ببيان كتابه على ماسبق أن بينا فى معنى هذا البيان .

* * *

واذن فبيان القرآن وتفسيره ، وتفصيل ماأجمل فيه ، لم يكن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم استقلالا ، وانما كان وحيا يوحيه الله اليه ، فيبلغه عن الله كما يريد الله عز وجل ، وكما كلفه سبحانه بتبليغه حيث يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾[1]

أو كان اجتهادا يلهمه الله الصواب فيه ، ثم يقره عليه[2]

فما أوحاه الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم لم يكن القرآن وحده وإنما كان القرآن وبيانه ، أو بمعنى أعم : كان القرآن والسنة .

* * *

(١) سورة المائدة ٦٧ .

(٢) كما حكى عن بعض العلماء . راجع الرسالة للشافعى ص ٩٢ .

أنواع السنة الموحى بها

نعم . فقد يكون الموحى إلى النبى ﷺ – فيما عدا القرآن – تفصيلا لمجمل ، كالأحاديث التى تفصل القول فى أحكام الصلاة والزكاة ، حيث لم يرد الحديث عنها فى القرآن إلا على وجه الإجمال ، فى نحو قوله تعالى :

﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ (١)

وقد يكون الوحى إلى النبى ﷺ فيما عدا القرآن تقييدا لمطلق فقد جاء قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا ﴾ (٢) مطلقا ، ولكن الأحاديث النبوية بينت المراد من اليد وأنها اليمنى ، كما بينت مقدار القطع وأنه من الكوع ، وقد كان محتملا أن يكون من المرفق .

وقد يكون الموحى به فيما عدا القرآن تخصيصا لأمر عام ، فحين نزل قوله تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (٣)

---

(١) سورة البقرة : ٤٣ .
(٢) سورة المائدة : ٣٨ .
(٣) سورة الأنعام : ٨٢ .

أشفق بعض الصحابة على أنفسهم حين تبادر الى أذهانهم أن المراد أى ظلم بأى معصية ، كبيرة كانت أو صغيرة ، وعبروا عن هذا الإشفاق فقالوا : أينا لم يظلم وأبان ﷺ أن الظلم هنا ليس على عمومه ، بل المراد خصوص الشرك فقال ﷺ : « ليس بذاك إنما هو الشرك » [١]

وقد يكون الموحى إلى النبى ﷺ – عدا القرآن – حكما سكت عنه القرآن ، ومن ذلك : الأحاديث التى وردت بشأن تحريم نكاح المتعة ، وتحريم لحوم الحمر الأهلية .

وقد يكون الوحى الى النبى صلى الله عليه وسلم نسخا لحكم سبق أن نزل القرآن به ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (لاوصية لوارث) .

فقد نسخ حكم الوصية للوالدين والأقربين الذين ثبت لهم الميراث من آية الميراث وثبت لهم وجوب الوصية بقوله تعالى :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [٢]

---

(١) يراجع تفسير ابن كثير ٢/ ١٥٢ – ١٥٣ .

(٢) سورة البقرة : ١٨٠

الأدلة العقلية على أن السنة – فى هذه الجوانب – وحى :

وليس مما يعقل أو يتصور أن يكون النبى ﷺ قد استقل ببيان كيفية العبادات ، أو كمية المقادير الواجبة فى مثل الزكاة والصدقات ، أو يكون قد بين عن الله مالم يرده ، أو يكون قد شرع لأمته مالم يأذن به الله ، بل كل أولئك قد أوحاه الله اليه ، وأنزله عليه .

الأدلة النقلية على ذلك :

وذلك أيضا صريح قوله تعالى :

﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ﴾ (1)

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ (2)

وقوله سبحانه : ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ (3)

---

(١) سورة البقرة : ٢٣١ . (٢) سورة النساء : ١١٣ (٣) سورة الاحزاب : ٣٤

ولقد جاء النص من السنة على أن السنة مماأوحى الى النبى كالقرآن ، ثم جاء النص على أمور بعينها مماتنفرد السنة بتشريعه :

قد روى أبو داود بسنده عن المقدام بن معد يكرب ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : (ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه ، لايوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وماوجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا لا يحل لكم (لحم) الحمار الأهلى ، ولا كل ذى ناب من السبع ، ولا لقطة معاهد إلا أن يستغنى عنها صاحبها ، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه ، فان لم يقروه ، فله أن يعقبهم بمثل قراه)[١] .

وهو حديث نبوى جامع يفيدنا مايلى :

١ – أن السنة وحى أوتيه النبى صلى الله عليه وسلم مع القرآن .
٢ – التشنيع على من يقتصر على القرآن ويرفض السنة .
٣ – أن هناك أمورا تنفرد السنة ببيان أحكامها ، ومن ذلك :
(أ) تحريم لحم الحمار الأهلى وكل ذى ناب من السباع .

---

(١) كتاب السنة : باب ماجاء فى لزوم السنة ٤ / ٢٧٩ وهو عند الترمذى فى كتاب العلم : باب مانهى عنه أن يقال عند حديث النبى صلى الله عليه وسلم ٥/ ٣٨ وعقب عليه بقوله : هذا حديث حسن غريب ، والحاكم فى المستدرك ١ / ١٠٩ وسكت عنه هو والذهبى ، ورواه ابن ماجه فى مقدمة السنن ٦/١ فى باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتغليظ على من عارضه .

(ب) تحريم لقطة المعاهد - فيجب الاحتفاظ بها لصاحبها - كلقطة المسلم - إلا أن يستغنى عنها صاحبها .

(جـ) وجوب اكرام الضيف وإباحة مطالبته من نزل عندهم بحقه فى الكرم .

وكل هذه أمور لم ترد فى القرآن الكريم نصا بل جاءت إحالة بمثل قوله تعالى :

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[1]

ومن هنا كانت واجبة الاتباع كالقرآن لأنها وحى مثله .

وعن حسان بن عطية ، قال : « كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله ﷺ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن ، ويعلمه اياها كما يعلمه القرآن » .

* * *

(١) سورة الحشر :٧.

طرق الوحى
وكيف كان الوحى بالسنة ؟

الإيحاء إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام له طرق ثلاثة يشير اليها قوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾ (١)

الطريقة الأولى : إلقاء المعنى الموحى به فى قلب النبى ﷺ ، وإلهامه به ، مع اليقين الكامل أنه عن الله عز وجل ، سواء أكان ذلك يقظة أم كان مناما ، لأن رؤيا الأنبياء وحى وحق .

وهذه الطريقة هى مايراد بقوله تعالى : « **إلاوحيا** » بدليل انحصار طرق الوحى فى الثلاثة ، ومقابلة هذه الطريقة بالطريقتين الأخريين .

الطريقة الثانية : الكلام من وراء حجاب ، أى بدون رؤية لله عز وجل ، كما حدث لما جاء موسى لميقات ربه .

الطريقة الثالثة : أن يعلم الله نبيه مايريد إعلامه به بواسطة رسول يوحى باذن الله مايشاء .

---

(١) سورة الشورى : ٥١

وسفير الوحى بين الله تعالى وبين أنبيائه جميعا هو جبريل عليه السلام . وفى هذه يتم الوحى بإحدى كيفيات ثلاث .

١ – أن يرى النبى الملك فى صورته الحقيقية ، كما حدث مع نبينا صلى الله عليه وسلم فى أوائل البعثة حين جاء جبريل لأول مرة ، وأوحى اليه صدر سورة « إقرأ » ثم فتر الوحى إلى أن جاء جبريل على الصورة التى خلقه الله عليها له ستمائة جناح ، ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى ليلة المعراج .

٢ – أن يرى النبى الملك فى صورة بشر ، كما حدث حين جاء جبريل فى صورة دحية الكلبى ، فسأل النبى ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان والساعة وأجاب عليه السلام ، وقال – بعد أن ولى – : هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم .

٣ – أحيانا لايرى النبى الملك عند الوحى ، غير أنه يسمع عند مجيئه دويا كدوى النحل ، أو صلصلة مثل صلصلة الجرس ، لانستطيع إدراك حقيقتها إلا أن النبى هو الذى يكون متهيئا حينئذ للتلقى عن الملك فى صورة روحية أقرب الى الملائكية منها إلى البشرية ، ولايحس الحاضرون حوله إلا بظواهرها وآثارها ، كثقل البدن ، أو سيلان العرق ، وقد يسمعون الصوت الذى يشبه صوت الطائرة يأتى من بعيد ، أو دوى النحل يسمع من قريب .

حتى اذا ماانتهى الملك من أداء أمانة الوحى الى النبى صلى الله

عليه وسلم بالكلام أو بالإلهام والإلقاء فى الروع : انفصل الملك ، وسرى عن النبى ماكان يحس من شدة الوحى وبرحائه ، فيعود إلى حالته الطبيعية ، وقد وعى قلبه عن الملك ماقال ، وسجل عنه ماأوحى : أتم مايكون الوعى ، وأدق مايتم التسجيل .

* * *

وحى القرآن

أجمع المسلمون على أن القرآن لم يوح الى النبى صلى الله عليه وسلم الا وحيا جليا بواسطة جبريل عليه السلام ، فى اليقظة لا فى المنام ، ولا بالإلهام ولم يكن ذلك لأن الوحى بالطرق الأخرى يتداخله اللبس أو الريب ، بل لأنه لم يتفق أن وقع وحى القرآن بغير هذه الطريقة ، على ماتدل عليه الروايات الحديثية ، والآثار الصحيحة فى ذلك .

هذا فضلا عن أن القرآن موحى باللفظ والمعنى جميعا ، واللفظ فيه له قداسة خاصة ، فهو وحى متلو ، متعبد بتلاوته ، متحدى به ، لايجوز روايته بالمعنى ، ولهذا لم يحدث أن أوحى شىء منه بالطريقتين الأخريين .

اعتراض وجوابه :

وقد يعترض على ماقلنا : أن القرآن لايوحى إلا فى اليقظة بما روى فى صحيح مسلم[1] من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه

---

(١) فى كتاب الصلاة : باب حجة من قال : البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة ١/٣٠٠ .

قال : بينا[١] رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا[٢] اذ أغفى إغفاءة[٣] ، ثم رفع رأسه مبتسما ، فقلنا : ماأضحكك يارسول الله ! قال : (أنزلت على آنفا[٤] سورة) فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣ ﴾[٥]

ثم قال : (أتدرون ماالكوثر ؟) فقلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : (فإنه نهر وعدنيه ربى عز وجل عليه خير كثير . هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم ، فيختلج العبد منهم ، فأقول : رب انه من أمتى فيقول : ماتدرى ماأحدثت بعدك) .

نقول : انه قد يعترض بما قد يتبادر من هذا الحديث : أن القرآن

---

(١) قال النووى : قال الجوهرى : بينا فعلى اشبعت الفتحة فصارت الفا ، وأصله : بين ، قال : وبينما بمعناه ، زيدت فيه « ما » تقول : بينا نحن نرقبه أتانا . أى أتانا بين أوقات رقبتنا إياه ، ثم حذف المضاف الذى هو أوقات .

قال : وكان الأصعمى يخفض مابعد « بينا » اذا صلح فى موضعه « بين » وغيره يرفع مابعد « بينا » و « بينما » على الابتداء والخبر .

(٢) أى بيننا .

(٣) أى نام نومه خفيفة أو كان كمن نام نومة خفيفة .

(٤) أى الساعة أى هذه اللحظة قريبا .

(٥) سورة الكوثر .

قد أوحى منه بعض سوره فى المنام حيث يقول أنس : « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم – ذات يوم – بين أظهرنا اذ أغفى إغفاءة ... » .

وذلك على أساس أن الإغفاءة نوم ، وأن الوحى تم فى هذه الإغفاءة واذن فيكون قد تم فى النوم ؟ .

والجواب : أن المراد بالإغفاءة ماكان يعتريه صلى الله عليه وسلم وقت الإيحاء من الحالة الروحية التى يكون فيها أقرب الى الملائكية منه إلى البشرية ، والتى يؤخذ فيها عن الدنيا فلاتحكم عليه قوانين المادة ، حيث تتغلب روحانيته على بشريته صلى الله عليه وسلم .

ولأدل على هذا من أن أنسا عبر عن حاله صلى الله عليه وسلم تلك بالاغفاءة وهى النومة الخفيفة .

وكأنه يريد ليقول جاءه الوحى ، وتغلبت روحيته ، وأصبح الحكم لها ، وكأنما كان صلى الله عليه وسلم فى إغفاءة .

* * *

وحى السنة

أما السنة فتنفصل عن القرآن الكريم فى كثير من هذه الأمور . إنها نوع من الوحى ، ولكنها وحى غير متلو ، لأن الموحى فيها هو المعنى فحسب ، وتتم بوحى جلى ، وبوحى خفى ، بواسطة وبدونها ، فى اليقظة أو فى المنام .

ولقد وكلت الصياغة اللفظية - فيها - إلى النبى عليه السلام .

ولسنا نحسب أن ثمت من هو أحكم منه عليه السلام فى الإبانة عن وحى الله عز وجل ، أجمع مايكون التعبير ، وأروع مايكون البيان ، فهذا من أساسيات اصطفائه عليه السلام ، وصدق الله حيث يقول : ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [1]

مثال صريح فى السنة الموحى بها وحيا جليا :

أخرج مسلم فى صحيحه بسنده من حديث صفوان بن يعلى ابن أمية : أن يعلى كان يقول لعمر بن الخطاب - رضى الله عنه - ليتنى أرى نبى الله صلى الله عليه وسلم حين ينزل عليه .

فلما كان النبى صلى الله عليه وسلم بالجعرانة وعلى النبى صلى

---

(١) سورة الأنعام : ١٢٤ .

الله عليه وسلم ثوب قد أظل به عليه ، معه ناس من أصحابه ، فيهم عمر إذ جاءه رجل عليه جبة صوف متضمخ بطيب فقال : يارسول الله .. كيف ترى فى رجل أحرم بعمرة فى جبة بعد ماتضمخ بطيب فنظر اليه النبى صلى الله عليه وسلم ساعة ، ثم سكت فجاءه الوحى فأشار عمر بيده الى يعلى بن أمية : تعال ، فجاء يعلى ، فأدخل رأسه ، وإذا النبى صلى الله عليه وسلم محمر الوجه ، يغط ساعة ، ثم سرى عنه ، فقال : أين الذى سألنى عن العمرة آنفا ؟ فالتمس الرجل فجىء به ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (أما الطيب الذى بك فاغسله ثلاث مرات . وأما الجبة فانزعها ، ثم اصنع فى عمرتك ماتصنع فى حجك)[1] .

مثال آخر للسنة الموحى بها عن طريق الإلهام والإلقاء فى الروع :

روى الحاكم فى المستدرك من حديث ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ليس من عمل يقرب

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الحج : باب ماياح للمحرم بحج أو عمرة لبسه ومالاياح وبيان تحريم الطيب عليه ٧٨/٨ - ٨٠ من النووى .

وهو عند البخارى فى كتاب الحج : باب غسل الخلوق ثلاث مرات ٣ / ٣٠٧ - ٣٠٨ .

قال النووى فى الحديث : ان من الأحكام التى ليست فى القرآن ماهو بوحى لايتلى .

إلى الجنة إلا قد أمرتكم به ، ولا عمل يقرب إلى النار إلا قد نهيتكم عنه : لا يستبطئن أحد منكم رزقه . إن جبريل عليه السلام ألقى فى روعى : أن أحدا منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه ، فاتقوا الله أيها الناس وأجملوا فى الطلب : فإن استبطأ أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله فإن الله لاينال فضله بمعصية)[1] .

• • •

(١) رواه الحاكم فى [illegible] وسكت عنه هو والذهبى وأخرجه من حديث جابر وصححه على شرط [illegible] الذهبى ، ومن [illegible] عن جابر وصححه الذهبى على شرط مسلم .

● معنى السنة :

السنة عند العلماء

الاستعمال الأول

الاستعمال الثانى

الاستعمال الثالث

الاستعمال الرابع

● معانى السنة :

عند الفقهاء

عند الأصوليين

عند علماء الدعوة والارشاد

عند المحدثين

معنى السنة

السنة فى اللغة : الطريقة والمنهج ، حسنة كانت أم سيئة ، فهى تقال فى الخير تارة ، وفى الشر تارة أخرى ، سيما من ابتدأ عملا أو انتهج نهجا ليقتدى به غيره ، ويقفى على أثره ، ومن ذلك مايروى مسلم فى صحيحه بسنده من حديث جرير بن عبد الله[1] ، قال : جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عليهم الصوف ، فرأى سوء حالهم ، قد أصابتهم حاجة ، فحث الناس على الصدقة ، فأبطأوا عنه حتى رئى ذلك فى وجهه .

قال : ثم إن رجلا من الأنصار جاء بصرة من ورق ، ثم جاء آخر ، ثم تتابعوا حتى عرف السرور فى وجهه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من سن فى الاسلام سنة حسنة فعمل بها – بعده – كتب له مثل أجر من عمل بها ، ولاينقص من أجورهم شيء ، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ، ولاينقص من أوزاهم شيء) .

* * *

---

(١) صحيح مسلم : كتاب العلم : باب من سن سنة حسنة أو سيئة ٤ / ٢٠٥٩ .

السنة عند العلماء

يختلف معنى السنة عند كل طائفة بالنسبة للطائفة الأخرى ، تبعا لاختلاف الأغراض التى اتجهوا اليها فى أبحاثهم وفى علومهم ، وقبل أن نذكر مدلول السنة عند كل طائفة نقدم لذلك ببعض الأمثلة التى نستقرىء منها كيف يختلف المدلول باختلاف الاستعمال .

مثال الاستعمال الأول :

(أ) القراءة لشىء من القرآن بعد الفاتحة فى الركعتين الأوليين من الصلاة : سنة .

(ب) صوم رمضان فريضة ، وقيامه سنة .

مثال الاستعمال الثانى :

* قولنا : صوم رمضان فريضة ، دل عليها الكتاب والسنة والاجماع :

أما الكتاب فقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾[1]

---

(١) سورة البقرة : ١٨٣ .

وأما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم : (إن الله فرض عايكم صيام رمضان وسننت لكم قيامه)[١] .

وقد أجمعت الأمة على وجوبه .

مثال الاستعمال الثالث :

١ - قوله صلى الله عليه وسلم : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين)[٢] .

٢ - وقوله صلى الله عليه وسلم : (فمن رغب عن سنتي فليس مني)[٣] .

٣ - قول الفضيل بن عياض في قوله تعالى :

﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[٤]

إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل ، حتى يكون خالصا وصوابا .

والخالص : ماكان لله عز وجل .

والصواب : ماكان على السنة[٥] .

---

(١) سنن النسائي ١ / ٣٠٨ . (٢) سنن ابى داود ٤/ ٢٨١ .

(٣) صحيح البخارى ٩/ ٨٥ - ٨٦ . (٤) سورة الملك : ٢

(٥) جامع العلوم والحكم ١/ ٢٣ (بتحقيقنا) .

٤ - قول الأول :
وخير أمور الدين ماكان سنة وشر الأمور المحدثات البدائع

مثال الاستعمال الرابع :

تسمية أبى عبد الله البخارى لكتابه الصحيح :

« الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه » .

* * *

معانى السنة

وبالتأمل فى الاستعمالات المتقدمة للسنة نستنتج مايلى :

* أن السنة ليس لها مدلول واحد ولاتطلق على مفهوم واحد وانما لها اطلاقات عديدة .

* أن السنة فى الاستعمال الأول حكم وفى الثانى دليل الحكم بينما هى فى الاستعمال الثالث بمعنى الدين والمنهج والشريعة والملة وماكان عليه الأمر على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين .

أما فى الاستعمال الرابع فهى كل مايتعلق بأحوال النبى صلى الله عليه وسلم وأقواله وأفعاله وسيرته .

١ - عند الفقهاء :

الاستعمال الأول هو ا ستعمال الفقهاء أو اصطلاحهم ، وهم انما بحثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لاتخرج أفعاله وأقواله وأحواله عن الدلالة على أحد الأحكام الشرعية الخمسة : الوجوب والجواز والحرمة والكراهة والندب أو السنية .

وهذه الأحكام التى تتعلق بأفعال المكلفين هى غاية أبحاث

الفقهاء . والسنة عندهم : هى ماواظب عليه النبى صلى الله عليه وسلم ولم يدل دليل من الكتاب على وجوبه .

أو هى : الطريقة المسلوكة فى الدين من غير افتراض ولاوجوب

٢ - عند الأصوليين :

أما الاستعمال الثانى فهو استعمال الأصوليين أو اصطلاحهم ، وهم أولئك الذين عنوا فى أبحاثهم برسول الله عليه وسلم من حيث هو مشرع عن الله عز وجل ، أو باقرار الله عز وجل :

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ ﴾ (١)

ومن حيث هو الذى يضع القواعد للمجتهدين من بعده ، ويبين للناس مانزل إليهم ، ويمثل ماجاء عنه : الأصل الثانى للأدلة بعد كتاب الله عز وجل .

وغاية الأصوليين هى أدلة الأحكام وأصولها من الكتاب والسنة والإجماع والقياس .. الخ .

والسنة عندهم : أقوال النبى صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته التى ثبتت عنه بعد البعثة .

---

(١) سورة النجم : ٣ ، ٤

فهى – بهذا القيد – الأصل الثانى -- بعد الكتاب العزيز – فى الاستنباط والاستدلال وأخذ قواعد التشريع .

٣ – عند علماء الدعوة والإرشاد :

والاستعمال الثالث هو استعمال علماء الدعوة واصطلاحهم ، وهم أولئك الذين يعنيهم أن يردوا الناس إلى المنهج الاسلامى بنقاوته وأصالته ، وبعد أن ينفوا عنه الدخيل من الأهواء والبدع .

ولهذا فان السنة عندهم : هى ماقابل البدعة ، وهى ماكان عليه الأمر والعمل على عهد النبى وخلفائه الراشدين سواء أكان ذلك مما دل عليه الكتاب أو الحديث النبوى أو أقوال الخلفاء الراشدين .

وربما ذهب إلى هذا الاطلاق بعض الأصوليين وبعض المحدثين .

٤ – عند المحدثين :

أما الاستعمال الرابع فهو استعمال المحدثين واصطلاحهم ، وهم أولئك الذين يعنيهم أن ينقلوا بأمانة ، ويسجلوا بصدق إلى الناس عبر الزمن صورة كاملة ودقيقة عن الرسول صلى الله عليه وسلم منذ مولده إلى مبعثه الى هجرته إلى أن لحق بالرفيق الأعلى .

ولم لا ؟ وهم انما يبحثون عنه صلى الله عليه وسلم من حيث هو إمام وزعيم ، ومن حيث هو الرسول المصطفى ، ومن حيث

هو القدوة والأسوة ، ومن هنا وجدوا أن واجبهم أن ينقلوا كل مايتصل به من سيرة ومن خلق ومن شمائل ومن أخبار وأقوال وأفعال سواء أثبت ذلك حكما شرعيا أم لا .

ولهذا فالسنة عندهم : أقوال النبى صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته وصفاته الخلقية والخلقية وسيرته سواء أكان ذلك قبل البعثة أو بعدها .

فلذلك من الأثر ماله فى اثبات النبوة وإعطاء الأسوة وتعميق الإيمان ، وتوكيد العلاقة والمحبة والتوقير بيننا وبينه صلى الله عليه وسلم .

* * *

- مكانة السنة ووجوب العمل بها .
- التحذير من مخالفة السنة والاعراض عنها .
- وظيفة الرسول بالنسبة للقرآن .
- اجتهاد الرسول ﷺ .
- موقف آخر : عتاب بعد مشاوره .
- بين القرآن الكريم والحديث النبوى والحديث القدسى
- الفرق بين الحديث القدسى والقرآن
- بين السنة والأثر والحديث والخبر عند المحدثين
- توضيح التصريف على المذهب الأول بالأمثلة .



مكانة السنة ووجوب العمل بها

قال الامام الشافعى[1] – تعليقا على هذه الآيات ونحوها : « فذكر الله الكتاب وهو القرآن ، وذكر الحكمة ، فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول : الحكمة : سنة رسول الله ، وهذا يشبه ماقال ، والله أعلم .

لأن القرآن واتبعته الحكمة ، وذكر الله منه على خلقه بتعليمهم كالكتاب والحكمة ، فلم يجز – والله أعلم – أن يقال الحكمة هاهنا الا سنة رسول الله .

وذلك أنها مقرونة مع كتاب الله ، وأن الله افترض طاعة رسوله ، وحتم على الناس اتباع أمره – فلا يجوز أن يقال لقول : فرض . الا لكتاب الله وسنة رسوله .

لما وصفنا من أن الله جعل الإيمان برسوله مقرونا بالإيمان به .

وسنة رسول الله مبينة عن الله معنى ماأراد : دليلا على خاصه وعامه ، ثم قرن الحكمة بها بكتابه ، فأتبعها إياه ، ولم يجعل هذا لأحد من خلقه غير رسوله » .

ويؤيد هذا قوله ﷺ : (ألا إنى أوتيت الكتاب ومايعدله ،

(١) فى كتابه : الرسالة ص ٧٨ – ٧٩ .

يوشك شبعان على أريكته أن يقول : بينى وبينكم هذا الكتاب ، فما كان فيه من حلال أحللناه ، وماكان فيه من حرام حرمناه ، ألا وانه ليس كذلك)[١] .

ومن هنا كانت طاعة الرسول طاعة لله عز وجل ، قال تعالى :

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[٢]

كما كانت مبايعته ﷺ تعنى المبايعة مع الله عز وجل ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[٣]

وجاء الأمر الصريح بالأخذ بما أمر به ، والانتهاء عما نهى عنه ، قال تعالى :

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[٤]

---

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه ١/ ١٤٧ - ١٤٨ ، والحاكم فى المستدرك (١ / ١٠٩) من طرق وصححه وأقره الذهبى . وفى بعضها : « وان ماحرم رسول الله كما حرم الله » والترمذى فى كتاب العلم : باب مانهى عنه أن يقال عند حديث رسول الله ﷺ (٥ / ٣٧ - ٣٨) من طريقين : عن أبى رافع وقال : حديث حسن صحيح ، وعن المقدام بن معد يكرب وقال : حسن غريب من هذا الوجه .

وابن ماجه فى مقدمة السنن (١ ٦ - ٧) من الطريقين المذكورين .

(٢) سورة النساء : ٨٠ . (٣) سورة الفتح : ١٠ .

(٤) سورة الحشر : ٧ .

ونفى القرآن الايمان عمن لايحتكم الى النبى عليه السلام ، ولايرضى تمام الرضا بحكمه وقضائه ، قال تعالى :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [1]

وتحدث القرآن عن مسلك المؤمنين ومايميزهم عن غيرهم اذا أمروا بأمر من الله ورسوله ، قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [2]

وعقب القرآن على هذا ببيان وعد الله لأصحاب هذا المسلك ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [3]

التحذير عن مخالفة السنة والاعراض عنها :

وفى مقابل ذلك تحدث القرآن عن مسلك غير المؤمنين اذا أمروا بأمر من الله ورسوله : قال تعالى : ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ

---

(١) سورة النساء : ٦٥ . (٢) سورة النور : ٥١ . (٣) سورة النور : ٥٢ .

يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (١)

كما تحدث عن الوعيد الشديد لمن كانت هذه سمته وشيمته ، قال تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ (٢)

وظيفة الرسول بالنسبة للقرآن :

وقد أخبر الله تعالى أن وظيفة النبى ﷺ بالنسبة للقرآن متعددة المهام :

١ – فهو مبين للقرآن ، مفسر لآياته ، قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (٣)

٢ – وهو محدد لمعالم الحق حين يختلف الناس فيها ، قال تعالى ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (٤)

---

(١) سورة النور : ٤٨ – ٥٠ .

(٢) سورة النور : ٦٣ .

(٣) سورة النحل : ٤٤ .

(٤) سورة النحل : ٦٤ .

٣ – وهو المعلم للناس أحكام دينهم ، وكتاب ربهم ، وسنة نبيهم ، وهو المقوم لسلوكهم ، والمزكى لنفوسهم ، قال تعالى :

﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾[1]

كما أخبر تعالى أن من وظائف رسوله ﷺ . أنه يأمر وينهى ويحل ويحرم ، قال تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾[2]

ومادام اللفظ عاما فى الأمر والنهى ، والتحليل والتحريم ، فهو شامل لما كان من القرآن ، ولما كان من غير القرآن ممايوحيه الله إليه .

(١) سورة آل عمران : ١٦٤ .
(٢) سورة الأعراف : ١٥٧ .

ولعل مما يؤكد هذا أنه سبحانه جعل قضاء رسوله وحكمه قضاء لله تعالى وحكما ليس للمؤمن ولا للمؤمنة بازائه إلا أن يذعن وينقاد ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾[1]

وهذا فضلا عما سبق أن قررناه فيما يتعلق بطاعة الرسول ومبايعته وكيف كانت طاعته طاعة لله ومبايعة له ؟ !

ولسنا نعتقد أن يجعل الله طاعة رسوله طاعة له ، ومبايعة رسوله مبايعة له سبحانه ، ثم يعطى لأمره تلك المنزلة والمكانة . لولا أنه عليه الصلاة والسلام انما يصدر فى هذه الأمور كلها عن الله عز وجل ، وبمتابعة منه سبحانه .

* * *

ولقد قال الامام الشافعى[2] :

« وسنن رسول الله مع كتاب الله وجهان : أحدهما نص كتاب فاتبعه رسول الله كما أنزل الله ، والآخر : جملة (يعنى مجمل)

(١) سورة الأحزاب : ٣٦ .

(٢) فى الرسالة ص ٩١ .

بين رسول الله فيه عن الله معنى ماأراد بالجملة ، وأوضح كيف فرضها ، عاما ، وخاصا ، وكيف أراد أن يأتى به العباد .

قال : فلم أعلم من أهل العلم مخالفا فى أن سنن النبى من ثلاثة وجوه ، فاجتمعوا منها على وجهين :

أحدهما : ماأنزل فيه نص كتاب فبين رسول الله مثل مانص الكتاب .

والآخر : ماأنزل الله فيه جملة كتاب فبين عن الله معنى ماأراد .

وهذان الوجهان : اللذان لم يختلفوا فيهما ..

والوجه الثالث : ماسن رسول الله فيما ليس فيه نص كتاب .

فمنهم من قال : جعل الله بما افترض من طاعته وسبق فى عمله من توفيقه لرضاه : أن يسن فيما ليس فيه نص كتاب .

ومنهم من قال : لم يسن سنة قط الا ولها أصل فى الكتاب ، كما كانت سنته لتبيين عدد الصلاة - وعملها - على أصل جملة فرض الصلاة - وكذلك ماسن فى البيوع وغيرها من الشرائع ، لأن الله تعالى قال :

﴿ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [1]

وقال : ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾ [2]

(١) سورة النساء : ٢٩ . (٢) سورة البقرة : ٢٧٥ .

فما أحل وحرم فانما بين فيه عن الله ، كما بين عن الصلاة .

ومنهم من قال : بل جاءته به رسالة الله ، فأثبتت سنته بفرض الله .

ومنهم من قالْ : ألقى فى روعه كل ماسن ، وسنته : الحكمة التى ألقى فى روعه عن الله . فكان ماألقى فى روعه سنته وهى الحكمة التى ذكر الله .

ومانزل به عليه كتاب فهو كتاب الله .

وكل جاءه من نعم الله كما أراد الله .

وهذه الآراء التى حكاها الشافعى – فيما يتعلق بالسنة التى لم يكن فيها نص كتاب مقبولة عدا الأول ، فان الاجتهاد والرأى يكون فى غير الأمور التعبدية ، والأحكام التشريعية .

* * *

اجتهاد النبى صلى الله عليه وسلم

وفيما عدا ماتقدم – فقد كان النبى ﷺ أن يرى الرأى ويجتهد ويعمل الفكر فيما لم ينزل عليه بشأنه وحى .

وذلك ماينا يندفع به ماقد يتبادر إلى الأذهان بناء على ما أسفلنا أن يكون حديثه ﷺ كله وحيا .

بعد أن اندفع أن يكون حديثه ﷺ كله رأيا .

واذن فلم يك حديثه ﷺ كله وحيا . بل منه ماكان وحيا ، ومنه ماكان رأيا ، يدل لذلك أمور كثيرة منها ماحدث فى غزوة بدر ، وعندما نزل النبى ﷺ بجوار أدنى ماء من بدر ، فقد نهض أحد الخبراء العسكريين من الصحابة ، وهو الحباب بن المنذر ، وقال – فى تواضعه العظيم ، وأدبه الجم – : يارسول الله .. أرأيت هذا المنزل ؟ أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا أن نتأخر عنه ؟ أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ .

فقال عليه السلام : بل هو الرأى والحرب والمكيدة .

ولمس الحباب من ترحيب الرسول ﷺ بالشورى ، وحسن تقبله للرأى ماجعله يندفع بحرصه على صالح المسلمين يقول فى أدب بالغ : يارسول الله .. فإن هذا ليس بمنزل ، فامض بالناس حتى

نأتى أدنى ماء من القوم فننزله ، ثم نغور ماوراءه من القلب (الآبار) ثم نبنى عليه حوضا فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ، ولا يشربون .

فقال رسول الله ﷺ : لقد أشرت بالرأى ياحباب .

* * *

وهذه الحادثة تدل على أن الصحابة رضوان الله عليهم كان واضحا لديهم تماما أن من حديث الرسول ﷺ ماهو وحى ، ومنه ماهو رأى .

كما تدل على أنه عليه السلام كان يقرهم على هذا التقسيم بل كان يؤكد لهم - كذلك - أن فعله أو قوله فى شىء معين ليس الا قبيل الرأى والحرب والمكيدة ، كما كان فى هذه الواقعة ، ثم هو لا يرى - بعدئذ - بأسا فى أن ينزل على رأى أصحابه ، ويغير الموقع الذى نزل به أولا .

ولو كان نزوله - أولا - بالوحى لما تحول عن الموقع الذى نزل فيه .

* * *

موقف آخر : عتاب بعد مشاورة :

* ولقد أسفرت غزوة بدر عن نصر عظيم للنبى ﷺ وأصحابه

وهم قلة ، على المشركين وفلولهم وهم كثرة . فلقد قتل من المشركين سبعون ، وأسر سبعون كذلك ، واستشار النبى ﷺ أصحابه فى أمر هؤلاء الأسارى ، فقال أبو بكر : يارسول الله .. قومك وأهلك استبقهم واستتبهم لعل الله أن يتوب عليهم .

وقال عمر : يارسول الله ... كذبوك وأخرجوك فقدمهم فاضرب أعناقهم . فسكت رسول الله ﷺ ، فلم يرد ، ثم قال : « ان مثلك يأبا بكر كمثل ابراهيم عليه السلام قال :

﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾[1]

وان مثلك ياعمر كمثل نوح عليه السلام قال : ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾[2]

ثم قال عليه الصلاة والسلام : « أنتم عالة ، فلا ينفكن أحد منهم الا بفداء أو ضربة عنق » .

فأنزل الله عز وجل : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ

---

(١) سورة ابراهيم : ٣٦

(٢) سورة نوح : ٢٦ .

حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ (١)

فلو كان ماصدر عن النبى عليه السلام فى هذه المشاورة وحيا ماعاتبه الله عز وجل .

بيد أن الله تعالى عاتبه ، فثبت انه كان اجتهادا اجتهده ، ورأيا آرتاه .

* * *

غير أن النبى عليه السلام – فيما يراه أو يجتهد فيه ليس كأى منا فيما يراه ، أو يجتهد فيه .

إن الله تعالى يخصه بالمتابعة بالوحى ، فما كان صوابا أقره ، وما كان غير ذلك عاتبه فيه ، كما حدث فى هذه القضية : أعنى قضية أسارى بدر .

واقرار الله لنبيه عليه السلام فى شىء يجعل لهذا الشىء حكم الوحى فى ايجاب اقتدائنا به واتباعنا له .

* * *

واذن فنحن نستطيع أن نقول : ان ماتحدث به النبى ﷺ –

(١) سورة الأنفال : ٦٧ ، ٦٨ .

فيما عدا ماعوتب فيه إما أن يكون وحيا صريحا ، أو وحيا حكما ، وكله يجب الصدور عنه ، والأخذ به ، على مايشير اليه قوله تعالى :

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[1]

وقوله تعالى :

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[2]

* * *

(١) سورة الحشر : ٧ .

(٢) سورة النجم أية ٣ - ٤

بين القرآن والحديث النبوى والحديث القدسي

والوحى الصريح – فيما عدا القرآن– نوعان :

نوع ينسب صراحة أو دلالة إلى الله تعالى .

ونوع يصدر عن النبى ﷺ دون نسبة إلى الله عز وجل .

والنوع الأول هو الحديث القدسى .

فأما أنه حديث ، فلأنه نوع من الكلام .

وأما أنه قدسى ، فلأنه منسوب إلى الذات العلية المقدسة : إلى الله عز وجل .

* * *

الفرق بين الحديث القدسى والقرآن :

والفرق بينه وبين القرآن الكريم : أن للقرآن خصائص ليست للحديث القدسى .

فالقرآن : موحى بلفظه ومعناه وترتيبه ، ومنقول الينا تواترا : ومتحدى بلفظه ومعناه ، ومتعبد بتلاوته ، ويحرم على المحدث مسه ، وعلى الجنب ونحوه قراءته أيضا ، ويتعين للصلاة به ، والجملة منه تسمى آية ، والآيات تسمى سورة ، ولاتجوز روايته بالمعنى ، وهو بجميع آياته وسوره قد نزل به الروح الأمين ، على قلب خاتم النبيين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

أما الأحاديث القدسية فليس لها شيء من تلك الخصائص والمزايا ، وهى أحاديث تروى من طريق الآحاد ، لامن طريق التواتر – أو تأخذ حكم الرواية للحديث عن النبى ﷺ مصدرة بنحو : قال الله عز وجل ، أو : يقول الله عز وجل ، : أو عن النبى ﷺ فيما يرويه عن الله عز وجل . – وهى– فيما يتعلق بالقبول والرد شأنها شأن مانسب إلى النبى ﷺ : منها ماصحت نسبته كحديث : « ياعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا »[1] .

ومنها الموضوع المكذوب كحديث : « ماوسعنى أرضى ولاسمائى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن »[2] .

(١) الحديث بتمامه يرويه مسلم فى صحيحه : كتاب البر والصلة : باب تحريم الظلم ١٩٩٤/٤ – ١٩٩٥ .

ومعنى أن الله تعالى حرم الظلم على نفسه : أنه سبحانه تقدس وتنزه وتعالى عن الظلم ، وأصل التحريم : المنع ، فسمى تقدسه سبحانه عن الظلم تحريما لمشابهته للممنوع فى أصل عدم الشيء .

(٢) قال العراقى فى تخريجه لأحاديث الاحياء : لم أجد له أصلا . وقال ابن تيمية: هو مذكور فى الاسرائيليات وليس له اسناد معروف عن النبى ﷺ .

وكذلك قال السخاوى ، ثم قال : ومعناه وسع قلبه الايمان بى ومحبتى ومعرفتى ، والا فمن قال ان الله يحل فى قلوب الناس فهو أكفر من النصارى ، الذين خصوا بذلك المسيح وحده .

قال العجلونى : وكأنه أشار بما فى الاسرائيليات الى ماأخرجه أحمد فى الزهد عن وهب بن منبه قال : ان الله فتح السموات لحزقيل حين نظر الى العرش فقال حزقيل: =

وكحديث : « كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبى عرفونى »[1] .

وما صحت نسبته من الأحاديث فقد أدرجها مصنفوا الصحيح كالبخارى ومسلم فى صحيحيهما .

وماكان منها مفترى أو مكذوبا أو ضعيف النسبة فقد نبه على ذلك جهابذة علماء الحديث ، وقد أوردها فيما أفردوه من مؤلفاتهم للضعيف والموضوع كابن الجوزى قديما ، وناصر الألبانى حديثا .

وقد أجمع علماء الحديث على أن الحديث القدسى غير معجز بلفظه ، ولامتعبد بتلاوته ، وأنه يجوز روايته بالمعنى على مايجوز فى رواية الحديث النبوى .

* * *

=سبحانك ماأعظمك يارب ، فقال الله: ان السموات والأرض ضعفن عن أن يسعننى ووسعنى قلب عبدى المؤمن الوداع اللين.

وقال الزركشى: ان بعض العلماء قال: انه حديث باطل، من وضع الملاحدة. راجع كشف الخفاء ٢٧٣/٢.

(١) قال ابن تيمية: ليس من كلام النبى ﷺ ولا يعرف له سند صحيح ولاضعيف وهكذا ذكر الزركشى وابن حجر والسيوطى .

قال القارى: لكن معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى : **«وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون»** (الذريات:٥٦) أى ليعرفونى كما فسره ابن عباس رضى الله عنهما ، وهو واقع كثيرا فى كلام الصوفية ، واعتمدوه وبنوا عليه أصولا لهم كما أورد العجلونى . راجع كشف الخفاء ١٩١/٢ .

والمختار عندنا أن الحديث القدسى موحى بمعناه ومضمونه إلى النبى ﷺ ثم كلف أن يؤديه بعبارة من عنده مضيفا له إلى الله عز وجل ، قال الطيبى : « القرآن هو اللفظ المنزل به جبريل على النبى ﷺ ، والحديث القدسى : إخبار الله معناه بالإلهام أو المنام ، فأخبر النبى ﷺ أمته بعبارة نفسه ، وسائر الأحاديث لم يضفها إلى الله تعالى ، ولم يروها عنه تعالى » .

وهذا القسم الأخير هو مانعنيه بالحديث النبوى .

بين السنة والأثر والحديث والخبر
عند المحدثين

قد تقال هذه الألفاظ – اصطلاحا – بمدلول واحد : ماأضيف الى النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقى أو خلقى حقيقة أو حكما حتى الحركات والسكنات فى اليقظة والمنام وما أضيف الى الصحابى أو التابعى من قول أو فعل .

وقد يكون لكل منهما مدلول يختلف عن الآخر

ولنتحدث عن كل على حدة ، لتفصيل هذا الإجمال .

١ – السنة :

فى اللغة : الطريقة والسيرة ، حسنة كانت أو سيئة .

وفى اصطلاح المحدثين فيها مذاهب ثلاثة :

الأول : ماأضيف إلى النبى ﷺ أو إلى الصحابة أو التابعين على ماذكرناه آنفا ، فهى بهذا تشمل المرفوع والموقوف والمقطوع .

الثاني : « ماأضيف الى النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقى أو خلقى[1] حقيقة أو حكما حتى الحركات والسكنات فى اليقظة أو فى المنام » .

---

(١) خلقى أو خلقى : الأولى بفتح الخاء وتسكين اللام ، والثانية بضمهما .

وعلى هذا المذهب فهى خاصة بالمرفوع دون الموقوف والمقطوع .

الثالث : ماأضيف إلى النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية : حقيقة أو حكما .

وعلى هذا المذهب فهى خاصة بالمرفوع ولاتشمل الحركات ولا السكنات فى اليقظة والمنام .

* * *

٢ – الأثر :

فى اللغة : البقية من الشيء

وفى الاصطلاح : فيه ثلاثة مذاهب :

الأول : مطابق للمذهب الأول فى السنة فهو – بهذا – مرادف لها ، فى عمومها .

الثانى : مطابق للمذهب الثانى فى السنة فهو – بهذا – مرادف لها ، على المذهب الثانى ولايشمل الموقوف ولا المقطوع .

الثالث : ماأضيف إلى الصحابى أو التابعى من قول أو فعل .

وهذا ماذهب إليه فقهاء خراسان ومن تابعهم .

وعلى هذا فهو خاص بالموقوف والمقطوع ، وهو أخص من السنة والأثر بالمعنى الثانى فيهما .

٣ - الحديث :

في اللغة : هو الجديد ، ومايقابل القديم .

واصطلاحا فيه ثلاثة مذاهب :

الأول : مطابق للمذهب الأول في السنة والأثر في عمومهما وشمولهما .

الثاني : مطابق للمذهب الثاني في السنة والأثر في اختصاصهما بالمرفوع .

الثالث : ماأضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل .

وعلى هذا فهو خاص بقسم من المرفوع هو الأقوال والأفعال فحسب ولايشمل التقرير والا الصفات الخ .

٤ - الخبر :

لغة : ماينقل ويتحدث به .

واصطلاحا فيه أربعة مذاهب :

الأول : مطابق للمذهب الأول في السنة والأثر والحديث في العموم والشمول .

الثاني : مطابق للمذهب الثاني في السنة والأثر والحديث في الاختصاص بالمرفوع .

الثالث : ماأضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقيةأو خلقية ، حقيقة أو حكما حتى الحركات والسكنات في

اليقظة والمنام أو الى الصحابى أو التابعى من قول أو فعل أو الى غيرهم .

وهو بهذا يشمل المرفوع والموقوف والمقطوع وغير ذلك .

ويكون أعم من الحديث والسنة والأثر على المذهبين : الأول والثانى .

الرابع : ماأضيف الى غير النبى ﷺ وإلى غير الصحابى والتابعى من هذه الأمة أو غيرها من الأمم السابقة والأنبياء السابقين .

وعلى هذا فالخبر مباين للأنواع السابقة ، لايبحث عنه فى هذا الفن ، انما يبحث عنه فى التاريخ والقصص حيث يطلق عنوان الاخبارى على المشتغل بها ، أما المشتغل بالسنة النبوية ، أو بالسيرة النبوية فقد عنوا به « المحدث »

والمذهب الأول فى هذه المصطلحات الأربعة هو الأشهر والأصح . ويكون التمييز للمراد بالقرائن والسياق .

* * *

توضيح التعريف على المذهب الأول بالأمثلة :

التعريف : ما أضيف الى النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقى أو خلقى حقيقة أو حكما حتى الحركات والسكنات فى اليقظة أو المنام أو الى الصحابى أو التابعى من قول أو فعل .

التوضيح :

« ما أضيف » أى مانسب .

« من قول » حقيقة أو حكما .

فمثال القول الحقيقى المنسوب الى الرسول ﷺ : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان:

* أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما .
* وأن يحب المرء لايحبه الا لله .
* وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره ان يقذف فى النار »[1] .

* * *

ومثال القول الحكمى : قول ابن مسعود : « من أتى ساحرا أو عرافا فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » .

وضابطه ان يكون قول الصحابى مما لايقال من قبل الرأى ، ولا مجال للاجتهاد فيه ، بل يتوقف فيه على السماع من النبى ﷺ ، وذلك كتفسير آية ، والحديث عن الأنبياء السابقين ، أو الأخبار الآتية ، أو شيء من السمعيات أو الحكم على فعل بأنه طاعة أو معصية : ايمان أو كفر ، له ثواب كذا أو عقوبة كذا ..

* * *

(١) متفق عليه .

ومثال الفعل الصريح والحقيقى :

مارواه أنس بن مالك قال : « كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل ان يصلى ، فان لم تكن رطبات فعلى تمرات فان لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء »[1] .

* * *

ومثال الفعل الحكمى :

ما روى عن الشافعى : « أن عليا كرم الله وجهه صلى صلاة الكسوف فركع فى كل ركعة ثلاث ركوعات » .

فهذا الفعل من على رضى الله عنه فعل رسول الله ﷺ حكما لأن عليا رضى الله عنه ماكان ليفعله من نفسه ، وإنما هو فيه متوقف على صنيع النبى ﷺ ، ولذا فهو من قبيل المرفوع .

وأساس ذلك مارواه الحاكم بسنده عن ابن جريج ، عن عطاء قال : أخبرنى من أصدق – يريد : عائشة ، قالت : كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فقام رسول الله ﷺ قياما شديدا ، يقوم بالناس ثم يركع ، ثم يقوم ، ثم يركع ، ثم يقوم ، ثم يركع ، فركع ركعتين ، فى كل ركعة ثلاث ركعات فركع الثالثة ، ثم سجد ، حتى إن رجالا يومئذ ليغشى عليهم مما قام بهم ، حتى

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك ٤٣٢/١ وسكت عنه هو والذهبى .

إن سجال الماء لتصب عليهم ، يقول إذا ركع قال : الله أكبر ، واذا رفع قال : سمع الله لمن حمده حتى تجلت الشمس ، ثم قال : « إن الشمس والقمر لاينكسفان لموت أحد ولالحياته ، ولكنهما آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده . فاذا كسفا فافزعوا إلى الصلاة »[1] .

* * *

وضابط الفعل الحكمى : أن يكون فعلا من الأفعال التى لامجال لرأى الصحابى فيها ولا لاجتهاده ، بل يكون مما يتوقف فيه على فعل صاحب الشرع ﷺ .

* * *

ومثال التقرير الحقيقى :

ماروى عن ابن شهاب الزهرى : أن سهل بن سعد الساعدى أخبره : أن عويمرا العجلانى جاء الى عاصم بن عدى الأنصارى فقال له : أرأيت ياعاصم ! لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه؟ أم كيف يفعل؟ فسل لى عن ذلك ياعاصم رسول الله ﷺ ، فكره رسول الله ﷺ المسائل وعابها[2] حتى كبر على

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣٣٢/١ - ٣٣٣ وصححه على شرط الشيخين وأقره الذهبى .

(٢) قال النووى : المراد كراهة المسائل التى لايحتاج اليها ، لاسيما ماكان فيه هتك ستر مسلم أو مسلمة ، أو اشاعة فاحشة ، أو شناعة على مسلم أو مسلمة . قال العلماء :=

عاصم ماسمع من رسول الله ﷺ فلما رجع عاصم الى أهله جاءه عويمر فقال : ياعاصم .. ماذا قال لك رسول الله ﷺ؟ قال عاصم لعويمر : لم تأتنى بخير ، قد كره رسول الله ﷺ المسألة التى سألته عنها . قال عويمر : والله لاأنتهى حتى أسأله عنها فأقبل عويمر حتى أتى رسول الله ﷺ وسط الناس ، فقال يارسول الله .. أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا ، أيقتله فتقتلونه؟ أم كيف يفعل[1]؟ فقال رسول الله ﷺ : « قد نزل فيك وفى صاحبتك[2]فاذهب فأت بها » .

= أما اذا كانت المسائل مما يحتاج اليه فى امور الدين وقد وقع فلا كراهة فيها ، وليس هو المراد فى الحديث .

وقد كان المسلمون يسألون رسول الله ﷺ عن الأحكام الواقعة فيجيبهم ولايكرهها ، وانما كان سؤال عاصم فى هذا الحديث عن قصة لم تقع بعد ، ولم يحتج اليها ، وفيها شناعة على المسلمين والمسلمات ، ولأن من المسائل مايقتضى جوابه تضييقا، وفى الحديث: «اعظم الناس جرما من سأل عما لم يحرم فحرم من أجل مسألته».

وفى هذا التعليل الذى أورده النووى وأن السؤال كان عن قصة لم تقع بعد: فالقصة وقعت فعلا، ولهذا فان الجواب هو ماذكره الخطابى تعليقا على الحديث فقد قال: «يريد به المسألة عما لاحاجة للسائل اليه، دون مابه الحاجة اليه. وذلك ان عاصما انما كان يسأل لغيره لالنفسه، فأظهر رسول الله ﷺ الكراهة لذلك، ايثارا لستر العورات، وكراهة لهتك الحرمات» .

(١) يصور عويمر حيرته حين يجد الزوج من يرتكب خيانة زوجية مع امرأته، انه اذا قتله حكم بقتله، واذا تركه صبر على أمر قد لايستطيع له تحملا فكيف يصنع ؟ .

(٢) يعنى أنزل الله فى شأنه مع امرأته قرآنا وهى الآيات من سورة النور : «**والذين يرمون أزواجهم** ..» (النور : ٦) . =

قال سهل : فتلاعنا[١] وأنا مع الناس عند رسول الله ﷺ . فلما فرغا قال عويمر : كذبت عليها يارسول الله ان أمسكتها[٢] فطلقها ثلاثا قبل أن يأمره رسول الله ﷺ .

قال ابن شهاب : « فكانت سنة المتلاعنين »[٣] .

= وقد اختلف العلماء: هل نزلت هذه الآيات في شأن هلال بن أمية أولا ، فلما كانت مسألة عويمر مطابقة لمسألة هلال قال ﷺ لعويمر : ان الله قد أنزل فيك وفي صاحبتك . أي ماأنزل في شأن هلال لأن ذلك حكم عام لجميع الناس .

وقيل : يحتمل أنها نزلت فيهما جميعا فلعلهما سألا في وقتين متقاربين، فنزلت الآية فيهما، وسبق هلال باللعان، لأن رواية هلال تذكر أنه أول من لاعن، على أية حال يصدق انها نزلت في ذا وذاك .

وقد نقل القاضي عياض عن ابن جرير الطبري أن قصة اللعان كانت في شعبان سنة تسع من الهجرة .

(١) قال النووي : هذا الكلام فيه حذف، ومعناه : أنه سأل وقد قذف امرأته، وأنكرت الزنا وأصر كل واحد منهما على قوله ثم تلاعنا .

(٢) ان امساكها وعدم تطليقها يعني أنها بريئة، وقد تحقق من خيانتها . ولئن كان امساكها يعني اقرارا منه ببراءتها فهو كاذب ان أقر بهذه البراءة .

ولقد كان عويمر يظن ان اللعان لايكفي في طلاقها، ولم يكن يطيق صبرا على امساكها، فأراد تحريمها بالطلاق .

ولو كان يعلم أن اللعان يكفي للتفريق لما لجأ الى يمين الطلاق ومن هنا أخذ البعض أنه يستحب اعلان الطلاق – بعد اللعان – لكن هذا مرجوح محجوج بروايات أخرى صحيحة تفيد أن الفرقة هي باللعان وحده .

(٣) أكانت سنة المتلاعنين أن يكون الطلاق بعد اللعان – وقد أقره النبي ﷺ . =

وموضع الدلالة من الحديث كما قال النووى : أنه لم ينكر عليه اطلاق لفظ الثلاث[١] ، وأنه لو كان الطلاق الثلاث فى مجلس واحد محرما لانكر عليه ، وقال له : كيف ترسل لفظ الطلاق مع أنه حرام ؟ .

لكنه ﷺ لم ينكر ، فكان هذا اقرارا منه عليه السلام .

* * *

وضابط التقرير الحقيقى : أن يفعل الشىء أو يقال القول بين يدى النبى ﷺ فيسكت ولاينكر .

* * *

ومثال التقرير الحكمى :

ماروى مسلم من حديث أبى الزبير ، عن جابر قال : « كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ فبلغ ذلك نبى الله ﷺ فلم ينهنا »[٢] .

= أم كانت السنة : حصول الفرقة بنفس اللعان ؟ .

رأيان؟ يذهب الجمهور الى الثانى .

والحديث رواه البخارى فى كتاب الطلاق : باب اللعان . ومن طلق بعد اللعان ٣٦٨/٩ – ٣٧٢ ، من الفتح ، ومسلم فى أول كتاب اللعان ١١٩/١٠ – ١٢٢ ، وأبو داود فى كتاب الطلاق : باب اللعان ٣٦٦/٢ – ٣٦٧ ، وابن ماجه فى كتاب الطلاق : باب اللعان ٦٦٧/١ .

(١) يقصد جمع الطلقات الثلاث بلفظ واحد ، فى مجلس واحد .

(٢) اخرجه مسلم فى كتاب النكاح : باب حكم العزل ١٤/١٠ من النووى .

وضابط التقرير الحكمى :

أن لايفعل الفعل ، أو لايقال القول بين يدى النبى ﷺ وانما بعيدا عنه ، ثم يبلغه الخبر عنه ، أو يكون الشأن فيه أن يبلغه ، فلا ينهى عنه ، ولاينزل الوحى بالنهى عنه .

* * *

ومثال الوصف الحقيقى للخلق (*) :

ماروله مسلم بسنده من حديث أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال : « كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء [1] فى خدرها[2] . وكان اذا كره شيئا عرفناه فى وجهه »[3] .

* * *

ومثال الوصف الحقيقى للخلق (*) :

ماروله مسلم بسنده من حديث البراء بن عازب- رضى الله عنه- قال : « كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجها ، وأحسنه

(*) للخلق : الأولى بضم الخاء واللام ، والثانية بفتح الخاء وتسكين اللام .

(١) هى البكر ، لأن عذرتها باقية وهى غشاء البكارة .

(٢) الخدر هو الستر يجعل للبكر فى جانب من البيت .

(٣) اى لايتكلم به لحيائه ، بل يتغير وجهه فنفهم نحن كراهته والحديث رواه مسلم فى كتاب الفضائل : باب كثرة حيائه ﷺ ١٨٠٩/٤ - ١٨١٠ .

خلقا[١] ، وليس بالطويل الذاهب ، ولا بالقصير »[٢] .

* * *

ومثال الوصف الحكمى :

ماروى الترمذى بسنده من حديث أنس بن مالك ، قال : « كنت عند ابن زياد . فجيء برأس الحسين ، فجعل يقول[٣] بقضيب له فى أنفه ، ويقول : « مارأيت مثل هذا حسنا ؟ » .قال : قلت : « أما أنه كان من أشبههم برسول الله ﷺ »[٤] .

* * *

(١) قال القاضى عياض : ضبطناه خلقا بفتح الخاء واسكان اللام هنا لأن مراده صفات جسمه . أى كما يدل عليه السياق .

وأما قوله « وأحسنه » فقال ابو حاتم وغيره : هكذا تقوله العرب : وأحسنه يريدون : وأحسنهم ولكن لايتكلمون به ، وانما يقولون : أجمل الناس وأحسنه . ومنه الحديث « خير نساء ركبن الإبل نساء قريش ، أشفقه على ولد ، وأعطفه على زوج » .

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى كتاب الفضائل باب صفة النبى ﷺ ١٨١٩/٤ .

(٣) ينكت ويشير .

(٤) اخرجه الترمذى فى كتاب المناقب : باب مناقب الحسن والحسين رضى الله عنهما ٦٥٩/٥ وعقب عليه بقوله : هذا حديث حسن صحيح غريب .

وضابط الصفة الحقيقية : أن تنسب الى رسول الله ﷺ صراحة وضابط الصفة الحكمية أن تنسب إلى رسول الله ﷺ عن طريق اللزوم ، كهذا الحديث الذى سقناه من رواية الترمذى من حديث أنس .

* * *

- السنة فى العهد النبوى
- أثر التوجيه الاسلامى فى طلب العلم ونشره .
- مظاهر الاهتمام بالسنة فى العهد النبوى .
- الرحلة فى طلب العلم .
- تجشم المشاق فى ذلك
- الاستفتاء فى القضايا الطارئه .
- التناوب فى طلب العلم وفقه السنة .
- القرآن لايغنى عن السنة .
- الأخذ بالسنة أخذ بالقرآن .
- محاورة
- الصحابى والسنة .
- المرأة ومدارسة السنة .
- المرأة تعلم المرأة
- المرأة كانت مرجعاً فى التفسير والحديث والفقه .

السنة فى العهد النبوى

لقد أرسل الله نبيه محمدا ﷺ على حين فترة من الرسل ، أحوج ماتكون البشرية اليه ، بعد أن ران الجهل ، وتراكم الظلم . وتفاقم الفساد ، وتباعد اكثر الناس عن قويم الخلق ، وصحيح الاعتقاد

أرسله الله بالحق بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا ، فأنقذ الله به من الجهالة ، وهدى من الضلالة ، وروى به نفوسا ظمأء إلى دين الحق ، وسنن الخير ، وأضاء به معالم الطريق إلى عز الدنيا ، وسعادة الآخرة .

لقد كان صلوات الله وسلامه عليه - كالقمر يطلع على قوم سارين فى مفازة مهلكة ترفعهم نجاد ، وتخفضهم وهاد ، وترديهم حفر ، فيبصرهم بالسنن اللاحب ، والطريق المستقيم ..

بيد أن الرسول ﷺ كان له فى الحياة من الأثر ماتتضاءل امامه آثار الشمس والقمر ... !

ولقد صنعه الله على عينه ، فحباه من بهاء الخلق ، وعظيم الخلق ماحبب فيه صحابته كأعمق مايكون الحب : آثروه حتى على أنفسهم ، وفدوه حتى بآبائهم وأمهاتهم ، ورأوا فيه المثل الأعلى للرسول والزعيم ، والقائد والامام ، والأب والرئيس ، وصدق الله حيث يقول :

﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ (١)

ومن هنا اشتد حرص صحابته على الاستماع إلى حديثه وتقييده كما اشتد حرصهم على الانتفاع بهديه وتنفيذه .

وتأكد هذا الحرص حين ألفوا هذا الدين يحث على العلم والمعرفة بالنحو التالى :

١ - تقرير ان العالم لايمكن أن يتساوى فى المكانة ولا فى المثوبة مع الجاهل ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ ﴾ (٣)

٢ - ايجاب الرحلة على بعض الأفراد طلبا للتفقه فى الدين . ثم العودة من حيث أتوا لتبليغ ماتعلموه ، ولنشر مافقهوه ، حيث يتعذر أن يرحل فى طلب العلم كل أفراد المجتمع ، قال تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ

---

(١) سورة الأنعام : ١٢٤ .   (٢) سورة الزمر : ٩.

(٣) سورة المجادلة : ١١ .

طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾[1]

٣ — ايجاب السماع لمقالة صاحب الوحى ﷺ بتمام الإنتباه ، وكمال الوعى ، ثم تحمل السنة كأمانة واجبة الأداء إلى الغير ، ودائمة التبليغ والنشر ، طبقة بعد طبقة ، وجيلا بعد جيل ، والى ذلك يشير قوله ﷺ :

« فليبلغ الشاهد منكم الغائب »[2] .

---

(١) سورة التوبة : ١٢٢

(٢) هذا جزء من خطبة النبى ﷺ يوم النحر ، وحديثها اخرجه البخارى فى صحيحه : كتاب العلم : باب رب مبلغ اوعى من سامع ١/١٤٥ — ١٤٦ وفى باب ليبلغ الشاهد الغائب ١/١٧٦ — ١٧٧ ، وفى كتاب المناسك : باب الخطبة ايام منى ١/٤٥٧ — ٤٥٨ وفى كتاب بدء الخلق : باب ماجاء فى سبع أرضين ٦/٢١٠ — ٢١١ مختصرا ، وفى كتاب المغازى : باب حجة الوداع ٨/٨٣ ، وفى كتاب التفسير — سورة براءة : باب قوله : «**ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا** » (التوبة : ٣٦) ٨/٢٤٤ مختصرا ، وفى كتاب الأضاحى : باب من قال : الأضحى يوم النحر ١٠/٦ وفى كتاب الفتن : باب قول النبى ﷺ : لاترجعوا بعدى كفارا ١٣/٢٣ وفى كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة » القيامة ٢٢ ، ١٣ / ٣٦٥ . وأخرجه مسلم فى كتاب القسامة باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ٣/١٣٠٦، وأحمد فى المسند ٥/٣٧ (الحلبى) ، وابن ماجه فى مقدمة السنن ١/٨٥ ، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١/٤٠ — ٤١ ، والقاضى عياض فى الالماع ص ١٤ — ١٥ ، والبغوى فى شرح السنة ١/٢٢٥ .

كلهم من حديث عبد الرحمن بن ابى بكرة ، عن أبيه ، وللحديث روايات أخرى .

وقوله ﷺ .

« نضر[١] الله عبدا سمع مقالتى فحفظها ووعاها وأداها . فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » .[٢] .

وقوله ﷺ :

« تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم »[٣] .

---

(١) قال الخطابى : «قوله : « نضر الله امرأ » معناه الدعاء له بالنضارة ، وهى النعمة والبهجة ، ويقال نضر الله بالتخفيف والتثقيل ، وأجودهما التخفيف » .

وقيل : ليس هذا من حسن الوجه ، انما معناه : الجاه والقدر فى الخلق .

(٢) اخرجه الترمذى فى كتاب العلم : باب ماجاء فى الحث على تبليغ السماع (١٠٩/٢) من حديث ابن مسعود ، وقال : حديث حسن صحيح . ورواه الشافعى فى الرسالة ص ٤٠١ – ٤٠٢ ، وأحمد فى المسند ٩٦/٦ (المعارف) . والبيهقى فى المعرفة ١٥/١ – ١٦ ، وابن حبان فى صحيحه ٢٢٤/١ – ٢٢٦ من طريقين ، وابن ماجه فى مقدمه السنن ٨٥/١ ، والحميدى فى مسنده ٤٧/١ – ٤٨ ، والبغوى فى المصابيح ١٧/١ ، وفى شرح السنة ٢٢٧/١ بتحقيقنا ، وابن ابى حاتم فى الجرح والتعديل ٩/١/١ – ١٠ ، والحاكم فى معرفة علوم الحديث ص ٢٦٠ ، والخطيب فى الكفاية ص ٢٩ ، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ٤٠/١ .

(٣) أخرجه ابن حبان فى صحيحه ٢١٩/١ ، وأحمد فى المسند ٣٤٠/٤ (الحلبى) وابو داود فى السنن ، كتاب العلم : باب فضل نشر العلم ٤٣٨/٣ ، والحاكم فى معرفة علوم الحديث ص ٢٧ ، وفى المستدرك ٩٥/١ ، وابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ٨/١ – ٩ ، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ٤٣/١ ، ١٢٤/٢ ، والسخاوى فى فتح المغيث ص ٢١٧ ، والقاضى عياض فى الالماع ص ١٠ .

٤ - التحذير من كتمان العلم :

قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[1]

وقال جل ذكره : ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ ﴾[2]

وقال ﷺ :

« من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار »[3] .

وقد حكى البغوى فى معنى الحديث : « كما أنه ألجم لسانه عن قول الحق ، وإظهار العلم : يعاقب فى الآخرة بلجام من نار » .

وقال سفيان الثورى : ذاك - اذن - كتم سنة .

وقال : لو لم يأتنى أصحاب الحديث لأتيتهم فى بيوتهم .

---

(١) سورة البقرة : ١٥٩ .   (٢) سورة آل عمران : ١٨٧ .

(٣) أخرجه ابن ماجه فى مقدمة السنن : باب من سئل عن علم فكتمه ٩٦/١ ، وأبو داود فى السنن : كتاب العلم : باب كراهة منع العلم ٤٣٧/٣ . والحاكم فى المستدرك ١٠١/١ .

وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ٢٤/١ ، وابن حبان فى صحيحه ٢٥٥/١ - ٢٥٦ ، وأحمد فى المسند ٥/١٤ - ٧ (المعارف) ، والبغوى فى شرح السنة ٢٩٦/١ (بتحقيقنا) .

ولو أني أعلم أحدا يطلب الحديث بنية لأتيته في منزله حتى أحدثه .

اثر التوجيه الاسلامي في طلب العلم ونشره :

ولقد كان لهذا وذاك أبلغ الأثر في مبادرة الصحابة ، رضوان الله عليهم ، إلى تسجيل ماكان يقوم النبي ﷺ بتبليغهم إياه سواء أكان كتابا أم سنة .

كانوا يسجلونه ويحفظونه في صدورهم وفي سطورهم ليتعلموه ويعملوا به من جهة ، ثم ليرووه ويبلغوه الى غيرهم من جهة أخرى .

مظاهر الاهتمام بالسنة في العهد النبوى :

ولقد أخذ الاهتمام بالسنة في العهد النبوى يتزايد وينمو على مر الأيام ونشأت عنه ألوان من النشاط العلمى تمثل بعضها فيمايلى :

١ - الرحلة في طلب العلم وتوخي العلو في الإسناد .

٢ - تجشم المشاق في ذلك .

٣ - الاستفتاء في القضايا الطارئة .

٤ - التناوب في طلب العلم وفقه السنة .

٥ - عدم الاستغناء بالقرآن عن السنة .

٦ - اعتبار الأخذ بالسنة أخذا بالقرآن .

٧ - استمرار العلاقة الزوجية يرتبط بتنفيذ السنة .

٨ - الصحابى يحذر من مخالفة السنة ولو عن طريق التأول .
٩ - الصحابى يربى بنيه على الالتزام بالسنة وتوقير النبى ﷺ .
١٠ - الصحابى يخالف أباه ويلتزم السنة .
١١ - المرأة تنشط فى مدارسة السنة .
١٢ - المرأة تسارع إلى تنفيذ أمر الله ورسوله .
١٣ - المرأة تعلم المرأة .
١٤ - المرأة تغدو مرجعا فى التفسير والحديث والفقه .
١٥ - المرأة تقوم بدورها الإيجابى فى النهى عن المنكر وفى تبليغ السنة .
١٦ - الصحابة يكتبون السنة ويأمرون بكتابتها .

وهذا إجمال نفصل القول فيه فيمايلى :

١ - الرحلة فى طلب العلم ، وتوخى العلو فى الإسناد :

وليس أدل على شدة اهتمام الصحابة بالسنة من أن الحديث قد يرويه بعضهم لبعض فما ان يسمعه السامع حتى يشخص إلى رسول الله ﷺ ليسمعه بنفسه منه . وعن أنس رضى الله عنه قال : كنا نهينا ان نسأل رسول الله ﷺ عن شىء ، فكان يعجبنا أن يأتيه الرجل من أهل البادية فيسأله ونحن نسمع فأتاه رجل منهم فقال : « يامحمد .. أتانا رسولك فزعم أنك تزعم أن الله أرسلك ، قال :

«صدق» . قال : « فمن خلق السماء ؟» قال «الله» قال : «فمن خلق الأرض ؟» قال : «الله» . قال : «فمن نصب هذه الجبال ؟» قال : «الله» قال : «فمن جعل فيها هذه المنافع ؟» قال : «الله» . قال : «فبالذى خلق السماء والأرض ونصب الجبال وجعل فيها هذه المنافع ، آلله أرسلك ؟» قال : «نعم» قال : «وزعم رسولك ان علينا خمس صلوات فى يومنا وليلتنا» . قال : «صدق» قال : «فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا ؟» قال : «نعم» قال : «وزعم رسولك أن علينا صدقة فى أموالنا؟» قال : «صدق» قال : فبالذى أرسلك الله أمرك بهذا ؟» قال : «نعم» قال : «وزعم رسولك أن علينا صوم شهر فى سنتنا؟» قال : «صدق» قال : «فبالذى أرسلك ، آلله أمرك بهذا؟» قال : نعم . قال : « وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع اليه سبيلا ؟ » قال : « صدق » قال : « فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ » قال : «نعم» . قال : « والذى بعثك بالحق ، لا أزيد عليهن ولا أنقض منهن » . فلما مضى قال : «لئن صدق ليدخلن الجنة»[1] .

وقد أورد الحاكم أبو عبد الله النيسابورى هذا الحديث فى

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب العلم : باب القراءة والعرض على المحدث ١٣٧/١ - ١٤١ .

ومسلم فى كتاب الإيمان : باب السؤال عن أركان الإسلام ٤١/١ - ٤٢ والحاكم فى معرفة علوم الحديث ص ٥ .

« المعرفة » ثم عقب بقوله : وهذا حديث مخرج فى المسند الصحيح لمسلم .

وفيه دليل على إجازة طلب المرء لعلو من الإسناد وترك الاقتصار على النزول فيه وان كان سماعه على الثقه ، اذ البدوى لما جاءه رسول الله ﷺ فأخبره بما فرض الله عليهم لم يقنعه مابلغه الرسول عنه .

ولو كان طلب العلو فى الإسناد غير مستحب لأنكر عليه المصطفى ﷺ سؤاله إياه عما أخبره رسوله عنه ، ولأمره بالاقتصار على ماأخبره الرسول عنه .

ومن ذلك مارواه البخارى بسنده عن عقبة بن الحارث : أنه تزوج ابنة لأبى اهاب بن عزيز ، فأتته امرأة ، فقالت : انى قد أرضعت عقبة والتى تزوج بها ! فقال لها عقبة : ماأعلم أنك أرضعتنى ولاأخبرتنى ؟ فركب إلى رسول الله ﷺ بالمدينة ، فسأله ، فقال رسول الله ﷺ : كيف وقد قيل ؟ ففارقها عقبة ونكحت زوجا غيره[1] .

* * *

٢ – تجشم المشاق فى ذلك :

أخرج الحاكم فى المستدرك[2] من حديث عكرمة عن ابن

(١) أخرجه البخارى فى كتاب العلم : باب الرحلة فى المسألة النازلة ١/١٦٧ .

(٢) كتاب العلم : باب قيدوا العلم بالكتاب ١/١٠٦ – ١٠٧ وقد اقره الذهبى على تصحيح الحديث .

عباس رضى الله عنهما قال : لما قبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار : « هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ ، فإنهم اليوم كثير» فقال : « واعجبا لك ياابن عباس!! أترى الناس يفتقرون إليك وفى الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم ؟» قال : فتركت ذاك ، وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله ﷺ ، وان كان يبلغنى الحديث عن الرجل فآتى ببابه وهو قائل فأوسد ردائى على بابه يسفى الريح على من التراب فيخرج فيرانى فيقول : «ياابن عم رسول الله ﷺ ماجاء بك؟ هلا أرسلت الى فآتيك ؟ فأقول : «لا» أنا أحق أن آتيك» قال : فأسأله عن الحديث .

فعاش هذا الرجل الأنصارى حتى رآنى وقد اجتمع الناس حولى يسألونى ، فيقول : «هذا الفتى كان أعقل منى» .

وقد عقب الحاكم بقوله : هذا حديث صحيح على شرط البخارى وهو أصل فى طلب الحديث ، وتوقير المحدث .

* * *

٣ - الاستفتاء فى القضايا الطارئة :

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يستفتون رسول الله ﷺ فيما يعرض لهم من القضايا ، سيما مالم يرد الحكم بخصوصه فى القرآن الكريم .

وقد روى البخارى بسنده ، عن زيد بن خالد الجهنى : أن النبى ﷺ سأله رجل عن اللقطة فقال : اعرف وكاءها- أو قال : وعاءها - وعفاصها[١] ، ثم عرفها سنة ، ثم استمتع بها ، فان جاء ربها فأدها اليه ، قال : فضالة الإبل ؟ فغضب[٢] حتى احمرت وجنتاه - أو قال : احمر وجهه - فقال ومالك ولها؟ معها سقاؤها[٣] وحذاؤها[٤] ، ترد الماء ، وترعى الشجر ، فذرها حتى يلقاها ربها ، قال : فضالة الغنم؟ قال : لك أو لأخيك أو للذئب[٥] .

* * *

٤ - التناوب فى طلب العلم وفقه السنة :

ولقد كان للصحابة شواغلهم بأعمالهم ومهنهم ، وما كان ذلك ليشغلهم عن متابعة الوحى ، ومدارسة السنة ، ولو بالتناوب .

وقد روى البخارى عن عبد الله بن عباس عن عمر قال : كنت انا وجار لى من الأنصار فى بنى أمية بن زيد وهى من عوالى المدينة

---

(١) الوكاء : مايربط به ، والعفاص : الوعاء .

(٢) قال ابن حجر - فى تعليل غضبه ﷺ - إما لانه كان نهى قبل ذلك عن التقاطها ، وإما لان السائل قصر فى فهمه فقاس مايتعين التقاطه على مالايتعين .

(٣) المراد بذلك : أجوافها ، لأنها تشرب فتكتفى به أياما .

(٤) حذاؤها : خفها .

(٥) اخرجه البخارى فى كتاب العلم : باب الغضب فى الموعظة والتعليم ١٩٦٨/١ .

وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ينزل يوما وأنزل يوما فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحى وغيره واذا نزل فعل مثل ذلك فنزل صاحبى الأنصارى يوم نوبته فضرب بابى ضربا شديدا فقال : أثم هو؟ ففزعت ، فخرجت اليه فقال : فقد حدث أمر عظيم[١] فدخلت على حفصة فاذا هى تبكى فقلت : أطلقكن رسول الله ﷺ ، قالت : لاأدرى ، ثم دخلت على النبى ﷺ فقلت وأنا قائم : أطلقت نساءك؟ قال : «لا» فقلت : «الله اكبر»[٢] .

* * *

٥ – كانوا يفهمون أن القرآن لايغنى عن السنة :

ولقد كان بعض المستمعين الى الصحابة يتوهمون أن فى القرآن غنية عن السنة وربما تبادر إلى أذهانهم أن النهى عن كتابة السنة

---

(١) بعد هذا فى الرواية الاخرى للحديث : «طلق رسول الله ﷺ نساءه ، قلت : قد كنت أظن أن هذا كائن حتى اذا صليت الصبح شددت على ثيابى ثم نزلت فدخلت على حفصة ....» .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى كتابه العلم : باب التناوب فى العلم ١٦٧/١ من الفتح وذكر ابن حجر ان فى الحديث : الاعتماد على خبر الواحد ، والعمل بمراسيل الصحابة ، وان الطالب لايغفل عن النظر فى أمر معاشه ، ليستعين على طلب العلم وغيره مع أخذه بالحزم فى السؤال عما يفوته يوم غيبته لما علم من حال عمر انه كان يتعانى التجارة اذ ذاك .

عام ، أو مستمر ، أو يعنى الاكتفاء بالقرآن عنها فكانوا يأخذون على من يتصدر من الصحابة للسنة أنهم لايتحدثون بالقرآن وربما طلبوا ذلك صراحة ، فيبين لهم الصحابى وجه الحكمة فى دراسة السنة .

وقد روى الحاكم بسنده من حديث عقبة بن خالد الشنى عن الحسن قال : «بينما عمران بن حصين يحدث عن سنة نبينا ﷺ إذ قال له رجل : ياأبانجيد .. حدثنا بالقرآن . فقال له عمران : أنت واصحابك يقرأون القرآن. أكنت محدثى عن الصلاة ومافيها وحدودها ؟ أكنت محدثى عن الزكاة فى الذهب والإبل والبقر وأصناف المال ؟ ولكن قد شهدت وغبت أنت .

ثم قال : فرض علينا رسول الله ﷺ فى الزكاة كذا وكذا ... فقال الرجل : أحييتنى أحياك الله»[1] .

ولهذا كان الصحابة يعدون مذاكرة الحديث إحياء له ولنفوسهم به ، وقد كان على رضى الله عنه يقول : «تذاكروا الحديث ، فإنكم إن لا تفعلوا يندرس » .

كما كان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول : « تذاكروا الحديث ، فإن ذكر الحديث حياته»[2] .

---

(١) المستدرك ١٠٩/١ – ١١٠ وصححه الحاكم وأقره الذهبى .

(٢) الأثران فى المستدرك ٩٥/١ .

٦ - وكانوا يعتقدون أن الأخذ بالسنة أخذ بالقرآن :

ولقد كان واضحا لدى أعلام الصحابة كيف أن الأخذ بالسنة أخذ بالقرآن ، وأنه لامانع من نسبة القول النبوى إلى القرآن من حيث أن القرآن قد دعا إلى الأ خذ بما آتانا الرسول ، والانتهاء عما نهانا عنه .

وقد حاضر الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه . يوما - فكان مما قال : « لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن : المغيرات[1] خلق الله » .

وكان قد سمع هذه المقالة من الرسول ﷺ فوعاها ثم هاهوذا يؤديها كما سمعها .

---

(١) الواشمة : من تفعل الوشم بنفسها او بغيرها ، والوشم أثر الغرز بابرة أو نحوها ، ثم يذر على موضع الغرز كحل أو غيره فيخضر ويبقى ولا يزول الا بعمليات جراحية .

المستوشمة : من تطلب من غيرها ان يشمها .

النامصة : من تفعل النمص بنفسها او بغيرها ، والنمص : ازالة شعر الوجه ، أو ترفيع شعر الحاجبين على وجه الخصوص بحيث يبدوان فى غير خلقتهما وطبيعتهما.

المتنمصات : الطالبات للنمص تصنعا وتظاهرا بصغر السن اثارة الغير وخداعا له .

المتفلجات للحسن : اللائى يحدثن الفلج بين الأسنان تجملا (وهو توسيع مابينهما) سيما فى الأسنان الأمامية .

محاورة بين أم يعقوب وابن مسعود رضى الله عنه فى هذا الحديث :

ولم يكن الصحابيات قد سمعن هذه المقالة من رسول الله ﷺ ولا من أحد ممن سمع رسول الله ﷺ قبل ان يحدث بها ابن مسعود رضى الله عنه .

ومن هنا كان مستغربا عندهن ان يخبر ابن مسعود عن طرد من تغير خلقتها ، وتتكلف زينتها ، وتبدى فتنتها بالوشم أو بالنمص أو بالتفلج .

ولعل هذه الأمور كانت ظواهر شائعة قبل ظهور الاسلام فكانت بحكم الإلف أمرا عاديا .

ثم لعله قد تبادر إلى أذهان بعضهن أن عبد الله بن مسعود إنما يلعن هؤلاء من قبل نفسه .

فانتهضت أم يعقوب الأسدية ، وكانت فقيهة قارئة للقرآن وابتدرت عبد الله بن مسعود وهى تقول : ماحديث بلغنى عنك ؟ أنك لعنت الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن : المغيرات خلق الله ؟

فقال عبد الله : وما لى لاألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو فى كتاب الله ؟ فقالت المرأة – وهى فى دهشة مما تسمع : لقد قرأت لوحى المصحف ، فما وجدته ؟ فقال عبد الله بن مسعود : لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه ، قال الله عز وجل :

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ (١)

فحيث نهى عنه الرسول ﷺ ولعن فاعله فقد نهى عنه القرآن(٢) ، وأوجب الانتهاء عنه ، وجعل طاعة الرسول من طاعة ربه ، لأنه لايصدر فى ذلك عن ذاته وانما عن وحى الله وأمره ولذا قال تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (٣)

* * *

٧ – الصحابى يفارق امرأته ان لم تكن عاملة بالسنة :

ولقد بلغ من توقير الصحابة للرسول ﷺ ، واعظامهم لأمره

---

(١) سورة الحشر : ٧

(٢) ووجه التحريم فيما ذكر تغيير الخلق ، وتصغير السن وخداع الناظر ، والتبرج بالزينة لغير الزوج .

وقال الخطابى : «انما ورد الوعيد الشديد فى هذه الأشياء لما فيها من الغش والخداع ، ولو رخص فى شىء منها لكان وسيلة الى استجازة غيرها من أنواع الغش ، ولمافيها من تغيير الخلقة ..» .

فان دعا الى ذلك ضرورة كعلاج ، او اصلاح حال ، أو تغلب على عيب ، او ازالة شعث مما يعد من التزين المقبول لحسن تبعل المرأة لزوجها فلا بأس

يدل لذلك مارواه ابن حجر فى الفتح (٣١٠/١٠) مما اخرج الطبرى من طريق ابى اسحق ، عن امرأته انها دخلت على عائشة ، وكانت شابة يعجبها الجمال ، فقالت : المرأة تحف جبينها لزوجها فقالت : اميطى عنك الأذى مااستطعت .

(٣) سورة النساء : ٨٠ – والحديث متفق عليه .

ونهيه ، وإيثارهم إياه على النفس والأهل والدنيا ومافيها ان كان أعلامهم يجعلون استمرار العلاقة الزوجية بينهم وبين أزواجهم مرتبطا باستنان هؤلاء الزوجات بالسنة النبوية ، وسيرهن على صراط الله المستقيم !!

ومازلنا مع ابن مسعود رضى الله عنه فى حواره ذاك مع أم يعقوب الأسدية .

لقد شبه عليها أن تكون امرأة ابن مسعود غير منتهية عما ينهى المسلمات عنه من الوشم وغيره ، فقالت له : فإنى أرى شيئا من هذا على امراتك ؟ فقال : اذهبى فانظرى ، وكان امتحانا مفاجئا لامرأة عبد الله بن مسعود ، ودخلت أم يعقوب عليها فلم تر شيئا .. واستبان لها أنها كانت تسرعت فيما حكمت به .

بيد أن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قولة خالدة رائدة تدل على مدى عمق الإيمان فى قلبه ، ومدى صدق إيثاره لأمر الله ورسوله ، قال : «لو كان شىء من ذلك ماكانت معنا»(١) .

* * *

(١) اخرجه البخارى فى كتاب اللباس باب المتفلجات للحسن ٣٠٥/١٠ وباب المتنمصات ٣١٠/١٠ ، باب الموصولة ٣١١/١٠ وباب المستوشمة ٣١٢/١ مختصرا .
وأخرجه مسلم فى كتاب اللباس : باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة الخ ١٦٧٨/٣ مختصرا ومطولا وأبو داود فى كتاب اللباس : باب صلة الشعر ١٠٨/٤ - ١٠٩ مختصرا ومطولا .

٨ - الصحابى يحذر من مخالفة السنة ولو عن طريق التأول :

يدل لذلك ماروى الحاكم من حديث هشام بن حجرٍ قال : «كان طاوس يصلى ركعتين بعد العصر ، فقال له ابن عباس : اتركهما ، فقال : انما نهى عنهما أن تتخذا سلما أن يوصل ذلك الى الغرور ؟! قال ابن عباس : فإن النبى ﷺ قد نهى عن صلاة بعد العصر ومأأدرى أتعذب عليه أم تؤجر ؟ لأن الله تعالى يقول ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ (١)

* * *

٩ - الصحابى يربى بنيه على الالتزام بالسنة وتوقير النبى ﷺ:

فقد أخرج أبو داود الطيالسى من حديث ابن عمر : أن رسول الله ﷺ قال : «لاتمنعوا النساء ان يأتين المساجد» (٢) .

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٦ .

(٢) والحديث أخرجه الحاكم فى المستدرك ١/١١٠ وصححه على شرط الشيخين وأقره الذهبى .

فقال ابنه : والله لنمنعهن .

فقال ابن عمر : «أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول هذا ؟! » .

* * *

١٠ - الصحابى يخالف أباه ، ويلتزم بالسنة :

روى الترمذى[1] من حديث ابن شهاب الزهرى أن سالم بن عبد الله حدثه ، أنه سمع رجلا من أهل الشام ، وهو يسأل عبد الله بن عمر عن التمتع بالعمرة إلى الحج . فقال عبد الله بن عمر : هى حلال فقال الشامى : إن أباك قد نهى عنها . فقال عبد الله بن عمر : أرأيت إن كان ابى نهى عنها . وصنعها رسول الله ﷺ ، أأمر أبى نتبع أم أمر رسول الله ﷺ ؟ فقال الرجل : بل أمر رسول الله ﷺ فقال : لقد صنعها رسول الله ﷺ .

وهذا يدل على صدق إيمان عبد الله بن عمر، وشدة ارتباطه بالسنة وروعة ايثاره لأمر الله ورسوله على سواهما .

* * *

---

(١) فى كتاب الحج : باب ماجاء فى التمتع ٣/١٨٥ - ١٨٦ .
قال : وفى الباب عن على وعثمان وجابر وسعد وأسماء بنت ابى بكر وابن عمر .
وقال أبو عيسى : حديث ابن عباس حديث حسن .

١١ - الوفود تسهم فى الحركة العلمية وتنشر الاسلام :

لما قدم وفد عبد القيس على النبى ﷺ قالوا : يارسول الله .. إنا لانستطيع أن نأتيك إلا فى الشهر الحرام وبيننا وبينك هذا الحى من مضر ، فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا ، وندخل به الجنة ، وسألوه عن الأشربة ، فأمرهم بأربع ، ونهاهم عن أربع ، أمرهم بالإيمان بالله وحده : قال : أتدورن ماالإيمان بالله وحده ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : شهادة أن لااله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وأن تعطوا من المغنم الخمس .

ونهاهم عن أربع : عن الحنتم والدباء والنقير والمزفت[١] . وقال احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم»[٢] .

(١) حين سألوه عن الأشربة كان السؤال عن الأوعية التى ينتبذ فيها فقوله : «الحنتم» الخ مجاز مرسل علاقته الحالية والمحلية فهو من اطلاق المحلى وإرادة الحال أى ما فى الحنتم ، والحنتم: الجرار الخضر وعن عطاء : جرار كانت تعمل من طين وشعر ودم ، والدباء : القرع . والمراد اليابس منه ، ولايزال ينتبذ فيه الى اليوم ، والنقير اصل النخلة ، ينقر ويجوف ويتخذ منه وعاء ، والمزفت مايطلى بالزفت ، قال ابن حجر : ١٢٥/١ «ومعنى النهى عن الانتباذ فى هذه الأوعية بخصوصها انه يسرع فيها الاسكار فربما شرب منها من لايشعر بذلك ثم ثبتت الرخصة فى الانتباذ فى كل وعاء ، مع النهى عن شرب كل مسكر» .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان : باب أداء الخمس من الإيمان ١٢٠/١ - ١٢٥ .

١٢ - المرأة ومدارسة السنة :

ولم تكن المرأة أقل من الرجل حظا فى طلب العلم ، وفقه السنة ، لقد اتاح لها الاسلام الفرصة المتكافئة فى ذلك ، وحمل الرجل مسئولية تربيتها وتعليمها ، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [1]

وقال ﷺ : « كلكم راع ومسئول عن رعيته » . ولم تقتصر الصحابيات الجليلات فى أن يأخذن من العلم حظهن ، بعد أن عرفن فيه حقهن .

فمن واتتها الفرصة سعت مع الساعيات الى ساحة العلم ، ودروس السنة من صاحب الوحى ﷺ .

ومن لم تواتها الفرصة انتظرت لتبادر زوجها أو أباها حين يعود إليها بما تلقى يومه على يد النبى ﷺ من قرآن ، وبما تعلم من حكمة ، لتتدارسه ثم لتتمثله وتمارسه تطبيقا وعملا ، بعد أن تلقته علما وقولا .

وقد روى البخارى - بسنده من حديث ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال النساء للنبى ﷺ : غلبنا عليك الرجال ، فاجعل لنا يوما من نفسك فوعدهن يوما لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن

---

(١) سورة التحريم : ٦ .

فكان فيما قال لهن : مامنكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها الا كان لها حجابا من النار . فقالت امرأة : واثنين ؟ فقال : واثنين»[١] .

* * *

١٣ - المرأة تعلم المرأة :

ولم يقتصر دور الصحابيات على التلقى من الرسول ﷺ مباشرة أو بواسطة ، بل قامت صاحبة الكفاية منهن بدور ايجابى فى تعليم غيرها من النسوة سنة الرسول ﷺ سيما اذا كان هناك ماينمع النبى ﷺ من التصريح بالحكم الشرعى .

وقد روى البخارى فى صحيحه أن امرأة سألت النبى ﷺ كيف تتطهر من الحيض ؟ فقال لها عليه الصلاة والسلام « خذى فرصة ممسكة[٢] فتوضىء بها»[٣] فقالت : يارسول الله .. كيف اتوضأ بها ؟ فأعاد كلامه السابق عليها فلم تفهم ، فأشار إلى عائشة أن

---

(١) اخرجه البخارى فى كتاب العلم : باب هل يجعل للنساء يوما على حدة فى العلم ؟ ١٧٥/١ .

(٢) قال ابن الأثير فى النهاية (٤٣١/٣) : الفرصة : قطعة من صوف أو قطن أو خرقة ، يقال : فرصت الشىء اذا قطعته ، والممسكة : المطيبة بالمسك ، يتتبع بها أثر الدم فيحصل منه الطيب والتنشيف .

(٣) الحديث بتمامه اخرجه البخارى فى كتاب الحيض : باب دلك المرأة نفسها اذا تطهرت من المحيض وكيف تغتسل وتأخذ فرصة ممسكة فتتبع بها أثر الدم ٣٥٢/١ - ٣٥٤ .

تفهمها مايريد ، فأفهمتها المراد ، وهو أن تأخذ قطعة قطن نظيفة معطرة فتضعها فى مكان الدم ، فان خرجت بيضاء كان ذلك علامة طهرها .

* * *

١٤ - المرأة تسارع إلى تنفيذ أمر الله ورسوله :

ولقد ضربت المرأة - فى صدر الإسلام - أروع الأمثلة فى المبادرة الى تعلم العلم ، وتلقى السنة عمن تلقاها من الآباء والأزواج من النبى ﷺ .

روى ابن كثير فى التفسير[١] من طريق ابن ابى حاتم ومن حديث صفية بنت شيبة قالت : بينا نحن عند عائشة قالت : فذكرن نساء قريش وفضلهن فقالت عائشة رضى الله عنها : ان لنساء قريش لفضلا وانى والله مارأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقا لكتاب الله ، ولا ايمانا بالتنزيل ، لقد أنزلت سورة النور : ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾[٢] انقلب رجالهن اليهن يتلون عليهن ماأنزل الله اليهم فيها ويتلو الرجل على امرأته ، وبنته ، وأخته ، وعلى كل ذى قرابته فما منهن امرأة الا قامت الى مرطها[٣]

(١) تفسير ابن كثير ٣/٢٨٥ .

(٢) سورة النور : ٣١

(٣) قال فى النهاية (٤/٣١٩) : المروط : الأكسية . الواحد : مرط ويكون من=

فاعتجزت به[1] تصديقا وايمانا بما أنزل الله من كتابه فأصبحن وراء رسول الله ﷺ معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان »

ويروى البخارى[2] من حديث عائشة رضى الله عنها ، قالت يرحم الله نساء المهاجرات[3] الأول ، لما أنزل الله : «**وليضربن بخمرهن على جيوبهن**» شققن مروطهن فاختمرن بها[4] . وروى أيضا أن عائشة رضى الله عنها كانت تقول : لما نزلت هذه الآية « وليضربن بخمرهن على جيوبهن » أخذن أزرهن فشققنها من قبل الحواشى فاختمرن بها .

* * *

= صوف ، وربما كان من خز أو غيره .وقال ابن حجر فى الفتح ٣٩٧/٨ المرط هو الإزار واستدل على ذلك بما فى الرواية الثانية : «شققن أزرهن .. من قبل الحواشى»

(١) الاعتجار بالعمامة : هو أن يلفها على رأسه ويرد طرفها على وجهه ولايعمل منها شيئا تحت ذقته . النهاية (١٨٥/٣) .

(٢) فى كتاب التفسير : سورة النور : باب وليضربن بخمرهن على جيوبهن ٣٩٧/٨ .

(٣) هذا يقتضى ان الذى فعل ذلك نساء المهاجرات . وفى الرواية السابقة نساء الأنصار.قال ابن حجر:ويمكن الجمع بين الروايتين بأن نساء الأنصار بادرن إلى ذلك .

(٤) قال ابن حجر فى الفتح : ٣٩٧/٨ أى غطين وجوههن . وصفة ذلك أن تضع الخمار على رأسها وترميه على الجانب الأيمن على العاتق الأيسر وهو التقنع . وقال الفراء : كانوا فى الجاهلية تسدل المرأة خمارها من ورائها وتكشف ماقدامها فأمرن بالاستتار ، والخمار للمرأة كالعمامة للرجل .

١٥ - المرأة كانت مرجعا فى التفسير والحديث والفقه :

أجل ! فهذه أم المؤمنين عائشة يفزع اليها المختلفون فى القضايا العلمية فتذكرهم بالحق فيما اختلفوا فيه ، ويسألها السائل عن كتاب الله ، وسنة نبيه فتروى نهمه ، وترفع وهمه ، وتقفه على الصواب .

* وقد روى أبو داود الطيالسى[١] من حديث أبى سلمة ابن عبد الرحمن قال : كنت فى مجلس فيه ابن عباس وأبو هريرة فأرسلوا إلى عائشة : متى تقضى الحامل عدتها ؟ فقالت : توفى زوج سبيعة ابنة الحارث وهى حامل فوضعت بعد وفاته بثلاث ، فأتت رسول الله ﷺ ، فأمرها أن تتزوج .

* وروى كذلك [٢] من حديث عقبة بن صهبان الهنائى قال : سألت عائشة عن قول الله تبارك وتعالى :

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾[٣]

---

(١) حديث رقم ١٤٨٨ . (٢) حديث رقم ١٤٨٩

(٣) سورة فاطر : ٣٢

فقالت لى : يابنى كل هؤلاء فى الجنة .

فأما السابق الى الخيرات فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ بالحياة والرزق .

وأما المقتصد فمن تبع أثره من أصحابه حتى لحق به .

وأما الظالم لنفسه كمثلى ومثلكم .

قال : فجعلت نفسها معنا .

* كما روى - كذلك من حديث عابس بن ربيعة قال : «أتيت فقلت : ياأم المؤمنين .. هل رسول الله ﷺ حرم لحوم الأضاحى فوق ثلاثة أيام ؟ قالت : كان من يضحى منهم قليلا ، فأمر ان يطعم من ضحى : من لم يضح ، ولقد رأيتنا نخبأ الكراع من الأضاحى فنأكله بعد عاشرة»[1] .

* * *

١٦ - المرأة والنهى عن المنكر ، وتبليغ السنة :

بل كانت المرأة تعتبر نفسها مسئولة - كذلك عن إبلاغ السنة ، وعن مهمة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

* وقد روى أبو داود الطيالسى [2] من طريق أبى مليح الهذلى :

---

(١) حديث رقم ١٥٢٨ .

(٢) حديث رقم ١٥١٨ .

أن نساء من أهل حمص – أو من أهل الشام – دخلن على عائشة فقالت : أنتن اللاتى تدخل نساؤكم الحمامات ؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« ما من امرأة تضع ثيابها فى غير بيت زوجها إلا هتكت الستر بينها وبين الله » .

* * *



- **الصحابة وكتابة السنة .**
- **المغرضون وتدوين السنة .**
- **الرد على هذه الشبه .**
- **الأمر بكتابة الحديث .**
- **من تلاميذ أبى هريرة .**
- **الأمر بالكتابة آخر عهد النبى ﷺ**
- **النهى عن الكتابة .**
- **التوفيق بين الإذن بالكتابة والنهى عنها .**
- **بين التدوين والرواية فى العهد النبوى .**
- **سلوك الصحابة بالنسبة لهذه التوجيهات .**
- **استنتاج مما تقدم**

الصحابة وكتابة السنة

تقضينا أهمية هذا الموضوع أن نمهد له قبل الحديث عنه بما يلى :

المغرضون وتدوين السنة :

لئن لم يشتهر أمر تدوين السنة فى مصنفاتها الجامعة إلا منذ القرن الثالث الهجرى : لقد سبق ذلك تدوين مصنفات أخرى أكثر شمولا ، وأوسع أبوابا ، وان لم تكن أدق ترتيبا ، وذلك منذ أوائل القرن الثانى ، بل سبق هذا وذاك تدوين السنة ، وتقييد مروياتها على النبى ﷺ مباشرة على أيدى كثير من الصحابة ، ثم بالواسطة على أيدى التابعين . ثم تتابع التدوين - بعد هذا - عبر القرون ، بحيث كانت هذه الكثرة الهائلة من الحديث النبوى الصحيح منقولة بواسطة العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه ، إلى أن يصل الحديث الى النبى ﷺ .

ولسنا ندرى لم يغمض المغرضون أعينهم عن هذه الحقيقة ولا يذكرون إلا النهى عن كتابة الحديث الذى كان فى صدر الإسلام .

ثم يصوبون سهامهم إلى أشهر مصنفات السنة التى بين أيدينا : البخارى ؟ !

إن تاريخ الحقد على الإسلام ، والهجوم على السنة ليس حديثا ، ولانحسب إلا أنه سوف يظل أبدا ! .

لقد هوجم أبو هريرة كأشهر راو فى الصحابة وأكثرهم حديثا .

ثم هوجم ابن شهاب الزهرى كأشهر راو فى التابعين وأكثرهم حديثا[1] .

ثم هوجم البخارى كمعلم بارز فى طريق تدوين السنة ، والذود عن حياضها .

بل هوجم صحيحه وكتابه الجامع المسند كواحد من أشهر كتب السنة الصحيحة ، ومروياتها المنتقاة إن لم يكن أشهرها على الاطلاق ![2] .

* * *

إن الغاية واحدة :

الإقلال من قيمة السنة ، ووجوب الأخذ بها .

---

(١) يراجع : السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى للدكتور مصطفى السباعى

(٢) « وقد كانت الحكمة فى أن يكون البخارى هو الكتاب الذى أخذنا منه تلك الأحاديث هى أن يكون الرجوع بأحاديث غيره الى القرآن . أولى وأهم باعتبار انه عمدة المراجع لأصح الأحاديث » .

من مقدمة صفحة الاهداء فى كتاب الأضواء القرآنية فى اكتساح الأحاديث الاسرائيلية وتطهير البخارى منها .

والتقليل من شأن السنة ، والتهاون فى وجوب الأخذ بها : تقليل من شأن القرآن نفسه ، وتهاون فى وجوب الأخذبه !

لقد أوجب القرآن : العمل بالسنة ، والوقوف عندها ، ائتمارا وانتهاء وجعل طاعة الرسول من طاعة الله وأفاض فى الحديث عن قيمة السنة ومكانتها كما ذكرنا منذ قليل ، فكلاهما وحى الله والسنة هى المصدر الثانى للتشريع ولتنظيم هذه الحياة مع كتاب الله عز وجل .

وفى سبيل غايتهم الخبيثة يسلطون الضوء على مايلى :

١ - وجوب العودة إلى القرآن الكريم باعتباره المرجع المحفوظ من التغيير والتبديل ، وهو الذى صدر عنه الرسول فيما قال ، وفيما فعل ولايستطيع مجادل أن يجادل فى آية من آياته ، أو فى حديث يؤيده القرآن الكريم .

٢ - رفض الأحاديث التى تخالف القرآن الكريم فى نصه أو معناه .

٣ - القرآن متواتر سجل فى الصحف فى عهد النبى ﷺ وباملائه لكتاب الوحى فور الوحى وقد نشر على الناس محفوظا من التبديل للمراجعة الدائمة بين ماهو مسطور وبين ماهو محفوظ فى الصدور .

أما الحديث فقد روى بالمعنى ولم يرد بالنص ! !

لأن النبى ﷺ هو الذى نهى أصحابه عن التدوين لغير القرآن الكريم . وحكمته فى ذلك هى ألا يكون الحديث منازعا للقرآن بسبب ماقد يستحسنه الناس أو يؤلفونه من جميل الكلام فيضيفونه اليه .. كذا ! !

٤ – إن الحديث النبوى لو كتب فى عهد النبى عليه الصلاة والسلام مااختلف الأئمة فيه .

٥ – القرآن هو البداية والنهاية ولاشىء سواه .

٦ – إن السنة حيث لم تدون على عهد النبى ﷺ ولا فى القرن الأول ، فالاعتماد فى اثباتها كان على الذاكرة فى الأغلب الأعم .

وذلك أمر يحتمل معه التغيير وعدم الضبط إلى حد كبير فضلا عن المدسوس والدخيل .

٧ – البخارى بشر والسهو على البشر أمر جائز ، والبخارى صادق النية والدس على صادق النية أكثر جوازا ، فما لاتقبله عقولنا مدخول على الإسلام ، منحول على نبى الإسلام ، لايشفع له وجوده فى صحيح ولو كان صحيح البخارى .

* * *

الرد على هذه الشبه

وسنترك للحقيقة العلمية - وحدها - أن ترد على هذه المغالطات المفضوحة ، وتلك المهاترات المشبوهة .

* * *

سنرى ان كانت السنة دونت بين يدى النبى ﷺ وبأمره وبإذنه أو أنها - كما يزعم المغرضون - لم تدون فى العهد النبوى ولا فى القرن الأول .

* * *

سنرى أيضا إن كان الاعتماد فى تدوين السنة على الذاكرة وحدها أم كان على التسجيل والكتابة المعتمد على شدة الدقة والتحرى كذلك ؟

* * *

سنرى كيف كان أمر النبى ﷺ وإذنه فى الكتابة مضافا إلى ما سبق أن ذكرنا عن موقف الإسلام من العلم ودعوته إليه باعثا إلى تلك الألوان من النشاط العلمى لدى الصحابة من جهة ، ودافعا إلى تدوين السنة وتسجيلها من جهة أخرى .

* * *

وسوف نعقب على هذا ببيان النصوص التى نهت عن الكتابة ، أو حثت على الإقلال من الرواية : متى كانت وإلى أى شىء كانت تهدف ؟ أكان الهدف منع كتابة السنة مطلقا أم كان هذا المنع مقيدا بملابسات خاصة ، ومرتبطا بأمور معينة ، وهل كان المنع من التدوين لذاته ، أم لما قد يترتب عليه فى بعض الأوقات أو مع بعض الأشخاص .. الخ .

* * *

الأمر بكتابة الحديث :

أخرج الحاكم فى المستدرك(١) من حديث عبد الواحد بن قيس ، عن عبد الله بن عمرو : قال : « قالت لى قريش : تكتب عن رسول الله ﷺ إنما هو بشر يغضب كما يغضب البشر فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : يارسول الله .. إن قريشا تقول تكتب عن رسول الله ﷺ وإنما هو بشر يغضب كما يغضب البشر قال : فأومأ لى شفيته فقال : والذى نفسى بيده مايخرج مابينهما الا حق فاكتب » .

* * *

وقد عقب الحاكم على الحديث بقوله : « هذا حديث صحيح الاسناد أصل فى نسخ الحديث عن رسول الله ﷺ ولم يخرجاه » .

(١) فى كتاب العلم : باب الأمر بكتابة الحديث ١/ ١٠٤ - ١٠٥ وقد صححه على شرط الشيخين وأقره الذهبى فى تصحيح الحديث .

نعم هذا الحديث أصل فى جواز كتابة الحديث عن رسول الله ﷺ ، وعمن تلقى عن النبى ﷺ .

وهو أيضا ينبئنا أن العداء للسنة قديم قدم الإسلام نفسه ! فلئن كانت قريش فى اشراكها تنقم على المسلمين أن يسجلوا حديث نبيهم ، فيعمقوا بذلك إيمانهم ، ويقوموا سلوكهم ، ويقاوموا عدوهم ، فلا تزال موجات العداء للإسلام تتابع بحقدها ، وتتابع بكيدها ، مصوبة سهامها إلى القرآن حينا ، وإلى السنة فى كثير من الأحيان .

ولكن الله الذى حفظ كتابه ، وأيد رسوله ، وصان سنته - هو الذى سيوالى نصره لكتابه ، ولسنة رسوله ، وهو الذى سيظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون .

وصدق الله حيث يقول : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝ ﴾[1]

* * *

عبد الله بن عمرو يستأنف كتابته للحديث :

وبهذا الإذن النبوى ، بل بهذا الأمر الصريح : استأنف عبد الله

---

(١) سورة الصف : ٨.

ابن عمرو كتابته للحديث النبوى حتى اجتمع له من هذا كتب ثلاثة :

١ - الصادقة : أى الصحيفة الصادقة . والصحيفة : الكتاب ، هكذا كان يستعملها العرب .

٢ - قضاء رسول الله ﷺ وبعض أقواله .

٣ - مايكون من الأحداث الى يوم القيامة .

والصادقة : هى أشهر كتبه ، ولعلها كانت أعظم ماروى ، وذلك لفرط حرصه عليها ، وكثرة تحدثه عنها .

يقول تلميذه مجاهد : دخلت على عبد الله بن عمرو فتناولت صحيفة كانت تحت رأسه ، فتمنع على . فقلت : تمنعنى شيئا من كتبك ؟ فقال : هذه الصحيفة الصادقة التى سمعتها من رسول الله ، ليس بينى وبينه فيها أحد ، فاذا سلم لى كتاب الله وهذه الصادقة والوهط فما أبالى ماكانت عليه الدنيا .

والوهط : حديقة أنشأها عمرو بن العاص وتصدق بها ، وقام على رعايتها بعده ابنه : عبد الله .

ولم يكن يأثر نفسه بها ، بل كان يعتبرها أمانة واجبة الأداء لكل من أراد أن ينتفع بهديها .

ولهذا كان يعيرها لطالبيها ، أو يملى منها لمن يستمليها ، مستشعرا فى هذا كله قوله ﷺ :

« نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها ثم أداها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه »[١]

ثم لم يكن عبد الله بن عمرو وحده هو الذى يستشعر وجوب الحرص على وعى السنة وأدائها وكتبها وتبليغها ، بل كان الصحابة جميعا يتنافسوا فى حفظ الحديث ، ثم فى تبليغه ونشره وكان من قدر منهم على الكتابة لايعتمد على ذاكرته وحدها بل يضيف إلى ضبط الذاكرة ، ضبط الصحيفة والكتاب ، بل كان بعض من لايكتب يستكتب من يدون له الحديث ، ولهذا وعى التاريخ كثيرين ممن دونوا السنة من الصحابة[٢] ، ثم من التابعين .

فمن الصحابة – عدا عبد الله بن عمرو – :

١ – جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة الخزرجى الأنصارى السلمى :[٣] أبو عبد الرحمن :

* كانت له حلقة بالمسجد النبوى يكتب فيها الحديث ويدرس ، وكان عبد الله بن عقيل بن أبى طالب يقول :

« كنت أختلف الى جابر بن عبد الله ، أنا ومحمد بن على ،

---

(١) مضى تخريج الحديث ص ٤٩

(٢) يدل لهذا – مع ماسيأتى – قول عبد الله بن عمرو : كنا عند رسول الله نكتب مايقول .

(٣) توفى سنة ٧٣ أو ٧٨ على خلاف .

ومحمد ابن الحنفية فنسأله عن سنن رسول الله ، وسيره فنتعلم منه ، ونكتب عنه » .

ولقد كتبتْ عنه عدة صحف أشهرها صحيفة سلمان بن قيس اليشكرى ، وقد كانت أكثر الرواية عن جابر من هذه الصحيفة .

* * *

٢ - سمرة بن جندب بن هلال بن جريج الفزارى أب سعيد[١] :

* روى عن النبى ﷺ وعن أبى عبيدة ، ولعل معظم ماروا‌ه مادونه فى صحيفته ، أو فى رسالته التى وجهها الى بنيه ، والتى قال عنها ابن سيرين : فى رسالة سمرة الى بنيه علم كثير .

وكان ابن سيرين يقول عن سمرة : كان عظيم الأمانة ، صدوق الحديث يحب الاسلام وأهله .

وعن أبناء سمرة انتشرت الرسالة وذاعت حتى حصل عليها الحسن البصرى ونشرها وأذاعها بدوره : قراءة ، أو اقراء ، أو املاء ، وقد أثر عن ابن عون قال : « وجدت عند الحسن كتاب سمرة فقرأته عليه » .

ومازال أمرها يشيع ويذيع حتى روى النسائى وغيره منها .

(١) توفى سنة ٥٨ أو ٥٩ على خلاف .

٣ - أبو هريرة : عبد الله - أو عبد الرحمن - بن صخر الدوسى :

* كان من أحفظ الصحابة لحديث الرسول ﷺ لكنه كان يحفظه بقلبه ، ولايكتب بيده ، ويقول :

« مامن أحد من أصحاب رسول ﷺ أكثر حديثا عنه منى ، الا ماكان من عبد الله بن عمرو ، فانه كان يكتب وكنت لاأكتب » .

ولاريب أن هذا القول منه رضى الله عنه يدل على مدى حرصه على حفظ السنة وأدائها .

ولم لا ؟ وقد كان مفرغ الوقت لهذا ، دائم العكوف فى المسجد النبوى لمجالسة النبى ﷺ حتى أكثر من تلقى السنة عنه ، ثم مالبث أن غدا أكثر الصحابة رواية للحديث ، حتى أشفق بعض الصحابة من هذه الكثرة أن تكون متضمنة لما لم يقل النبى ﷺ .

رد أبى هريرة على من استكثر عليه الرواية :

* وكان الرد من أبى هريرة على هذا يتمثل فى أمرين :

الأول : اثبات الفرق بينه وبين من يعترض عليه والذى يتمثل فى أنه رضى الله عنه كان متفرغا لهذه المهمة ، معتكفا لها ، بينما كان لغيره مهام أخر ، وشواغل عن الاعتكاف أو التفرغ .

الثانى : أن أبا هريرة رضى الله عنه ماكان ليكتفى بحفظه بل أضاف الى ذلك شيئا آخر هو تكليف من يكتب له هذه الأحاديث التى رواها عن النبى ﷺ حتى لاتذهب بها الأيام من ذاكرته وحتى يزيدها فضل توثيق .

يدل للأول قوله رضى الله عنه ، وقد بلغه ماقاله البعض بشأن اكثاره الروايه : انكم تقولون : أكثر أبو هريرة ، والله الموعد ، أن أصحابى من المهاجرين كانت تشغلهم صفقاتهم فى الاسواق وأن أصحابى من الانصار كانت تشغلهم أرضوهم والقيام عليها ، وكنت امرأ معتكفا ، وكنت أكثر مجالسة رسول الله ، أحضر اذا غابوا ، وأذكر اذا نسوا » .

ويدل للثانى قول الفضل بن الحسن بن عمرو بن أمية الضمرى المدنى عن أبيه أنه قال : تحدث عند أبى هريرة بحديث فأنكره فقلت له : انى قد سمعته منك ؟ فقال : ان كنت سمعته منى فهو مكتوب عندى ، فأخذ بيدى الى بيته فأرانا كتبا كثيرة من حديث رسول الله ﷺ فوجد ذلك الحديث ، فقال : قد أخبرتك أنى إن كنت حدثتك به فهو مكتوب عندى » .

* وكما كان أبو هريرة حريصا على التلقى ، وحريصا على كتب مايتلقى ، كان حريصا كذلك على أن يسأل النبى ﷺ عما يعن

له ، وكان النبى صلوات الله عليه وسلم يهش له حين يجيبه ، ويشهد له بشدة الحرص على التلقى والتعلم جميعا .

* وقد سأل أبو هريرة يوما فقال : يارسول الله .. من أسعد الناس بشفاعتك فقال ﷺ : « لقد ظننت ياأبا هريرة أن لايسألنى على هذا الحديث أول منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث » .

* وعرف لأبى هريرة فضله وسبقه ومكانه فتبادر الناس الى السماع منه ، والأخذ عنه .

* أخذ عنه كثير من الصحابه[١] ثم أخذ عن رواته من الصحابة كثير من التابعين[٢] وتتابعت الرواية لأحاديثه التى حفظها ورواها واستكتبها وأملاها جيلا بعد جيل .

تتابع الرواية عن أبى هريرة :

كان لمكانة أبى هريرة أثرها فى اعتناء تلاميذه بمروياته تدوينا وتوثيقا ورواية وتبليغا .

من تلاميذ أبى هريرة :

فممن كتب عنه من التابعين :

---

(١) كابن عباس ، وابن عمر ، وأنس ، وجابر .

(٢) كسعيد بن المسيب ، وبشير بن نهيك السدوسى ، وهمام بن منبه .

١ - بشير بن نهيك السدوسى ، وقد كان يقول : كنت أكتب الحديث عن أبى هريرة فلما أردت أن أفارقه قلت : ياأبا هريرة .. إنى كتبت عنك كتابا ، أفأرويه عنك ؟ قال : نعم . اروه عنى .

ولم تكن هذه الاجازة فى الرواية دون اطمئنان من أبى هريرة على صحة هذه المرويات . فقد روى - كذلك - عن بشير ، قال : أتيت أبا هريرة بكتابى الذى كتبته عنه ، فقرأته عليه ، فقلت : هذا سمعته منك ؟ قال : نعم .

٢ - عبد العزيز بن مروان بن أبى العاص بن أمية :

أبو الأصبع المدنى أمير مصر ، ووالد الخليفة الراشد عمر ابن عبد العزيز .

تولى بمصر عشرين سنة من عام ٦٥ الى أن توفى ودفن بها .

* روى الحديث عن أبيه ، وعبد الله بن الزبير ، وعقبة بن أبى عامر ، وأبى هريرة ، وحديثه عنه فى مسند أحمد وأبى داود : أن رسول الله ﷺ قال « شر ما فى الرجل جبن خالع وشح هالع » .

وكانت روايته عن أبى هريرة مدونة عنده .

* وقد كتب الى كثير بن مرة الحضرمى - وكان قد ادرك

سبعين بدريا من أصحاب الرسول : أن يكتب اليه مماسمع من أحاديث الصحابة ، ثم قال : « لاحديث أبى هريرة فانه عندنا » .

وهذا يدل على احتفاله بالرواية والاكثار منها من ناحية ، ثم يدل على أن حديث أبى هريرة كان مكتوبا عنده من ناحية أخرى .

٣ – همام بن منبه الصنعانى[1] :

وهو أشهر الرواة عن أبى هريرة ، وأشهر من دون عنه أحاديثه ، وقد كان تدوينه فى كتاب أو فى صحيفة عرفت به وكانت صحيحة الأحاديث ومن هنا كان يقال لها : الصحيفة الصحيحة ، كما يقال لها صحيفة همام .

وقد رواها عن همام كثيرون ، آخرهم وأشهرهم : معمر بن راشد الذى عاش بعد همام عشرين سنة .

ثم تتابع الرواة لها عن معمر ومن أشهرهم : عبد الرزاق بن همام صاحب المصنف ، ثم رواها الكثيرون عن عبد الرزاق ومن أشهرهم : أحمد بن حنبل الذى رواها فى مسنده كاملة ٢/ ٣١٢ – ٣١٨ .

ثم أخرج البخارى ومسلم منها أحاديث كثيرة فى أبواب متفرقة .

---

(١) كانت وفاته عام ١٣٢ هـ .

وعنها يقول المحقق الجليل الأستاذ السيد أحمد صقر[1] وهى أول كتاب من كتب الحديث يصلنا كاملا من الكتب المؤلفة فى النصف : « الأول من القرن الأول الهجرى » .

* * *

ونعود الى من دون السنة من الصحابة فنذكر منهم عدا من تقدم :

٤ - على بن أبى طالب :

ولم يك من المكثرين كمن سبق وقد روى البخارى فى كتاب العلم : باب كتابة العلم[2] ، عن أبى جحيفة السوائى ، قال : قلت لعلى : هل عندكم كتاب ؟ قال : لا ، الا كتاب الله ، أو فهما أعطيه رجل مسلم أو مافى هذه الصحيفة ، قال : قلت : وما فى هذه الصحيفة ؟ قال : العقل (الدية) ، وفكاك الأسير ، ولايقتل مسلم بكافر .

وقد أورد ابن حجر - فى الفتح - هذا الحديث برواياته المختلفة ، عند مسلم والنسائى وأحمد ، واستخلص منها : أن هذه الصحيفة لم تكن كتابا كبيرا وانما كانت كتابا صغيرا[3] فى ورقة

---

(١) فى كتابه « المدخل الى فتح البارى » ص ١٤ .
(٢) الجزء الأول ص ١٨٢ ومابعدها بهامش الفتح .
(٣) عند النسائى : « فأخرج كتابا من قراب سيفه » فتح البارى ١/ ١٨٣ .

واحدة قد جمعت عدة أحاديث ، أشارت الرواية التى أوردناها الى بعضها ، وأشارت الروايات الأخرى الى بعضها الآخر[١] .

* * *

ومن كتاب الصحابة :

٥ - أبو رافع : مولى رسول الله ﷺ ، المتوفى سنة خمس وثلاثين :

* كان له كتاب حديثى دفعه الى ابى بكر بن عبد الرحمن القرشى المتوفى سنة ٩٣ ورواه عن أبى بكر هذا : القاضى شيبة ابن نصاح المتوفى سنة ثلاثين ومائة .

* * *

٦ - وابن عباس - رضى الله عنهما - كان حريصا كذلك على الكتابة عن رسول الله ﷺ ، وعمن سمع من رسول الله ﷺ ، ولقد كان يأتى أبا رافع فيقول له : ماصنع رسول الله فى يوم كذا وكذا ؟ ثم يسجل هذا بنفسه أو بواسطة كاتب يكون معه .

ولقد نشأ عن احتفال ابن عباس - رضى الله عنهما - بالكتابة رصيد كبير ، قام عليه من بعده كريب مولاه ، فحفظه ورواه .

(١) ينظر فتح البارى فى الموضع المذكور .

* وكان موسى بن عقبة يقول : وضع عندنا كريب حمل بعير من كتب ابن عباس .

* * *

ومن كتاب الصحابة :

٧ - أنس بن مالك :

* كان يكتب عن رسول الله ، ﷺ ، ويكتب عمن سمع من رسول الله ﷺ ، ولايبالى فى ذلك بارتحال أو نصب .

* واجتمع له من هذا وذاك رصيد كبير ، وكان اذا أكثر عليه الناس للسماع منه يعمد الى مخال من كتب ويلقيها اليهم قائلا : هذه كتب سمعتها من رسول الله ﷺ وعرضتها عليه .

* * *

مماكتب النبى ﷺ :

* وهذا وذاك يرينا بما لا يدع مجالا للشك أن تدوين السنة انما بدأ بين يدى الرسول ﷺ وباذنه ، بل بأمره ، كما حدث حين خطب مرة بمكة فطلب اليه أبو شاه أن تكتب له هذه الخطبة فقال عليه السلام : « أكتبوا لأبو شاه »[1] .

* * *

(١) صحيح البخارى : كتاب العلم : باب كتابة العلم ١/ ١٨٣ - ١٨٤ من الفتح .

* الأمر بالكتابة آخر عهده ﷺ :

لقد كان الأمر بالكتابة من أواخر أوامره ﷺ قبيل أن يلتحق بالرفيق الأعلى .

* فقد روى ابن عباس رضى الله عنهما قال : « لما اشتد بالنبى ﷺ وجعه قال : ائتونى بكتاب أكتب لكم كتابا لاتضلوا بعده ... » الحديث[١] .

* بل كتب عليه السلام الى اليهود والمشركين والعجم والملوك والرؤساء يدعوهم بدعاية الاسلام ، وكتبه الى هرقل وكسرى وغيرهما مشهورة معروفة .

* وقد روى الترمذى باسناد حسن صحيح[٢] عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : « أمرنى رسول الله ﷺ أن أتعلم له كتاب يهود ، قال : انى والله ما آمن يهود على كتاب ، قال : فما مر بى نصف شهر حتى تعلمته له ، قال : فلما تعلمته كان اذا كتب الى يهود كتبت اليهم ، واذا كتبوا اليه قرأت له كتابهم » .

* كما أخرج الترميذى باسناده من حديث عن انس[٣] أن

(١) البخارى فى كتاب الجنائز : باب مرض النبى ﷺ ٣ / ٩١ .

(٢) الترمذى فى كتاب الاستئذان : باب ماجاء فى تعليم السريانية ٥ / ٦٧ - ٦٨ .

(٣) الترمذى فى كتاب الاستئذان : باب مكاتبة المشركين ٥/ ٦٨ وقال : صحيح غريب .

رسول الله ﷺ كتب قبل موته الى كسرى والى قيصر والى النجاشى والى كل جبار يدعوهم الى الله ، وليس بالنجاشى الذى صلى عليه النبى ﷺ .

* * *

* كما أخرج الترمذى باسناد أنس بن مالك[١] قال : لما أراد نبى الله ﷺ أن يكتب الى العجم قيل له : ان العجم لايقبلون الا كتابا عليه خاتم فاصطنع خاتما .

* * *

* أمر النبى ﷺ بكتابة السنة لمن طلب كتابتها له ، وكتب عليه السلام الى ملوك العرب والعجم والى أهل الكتاب والمشركين يدعوهم الى الاسلام ، وكتب المعاهدات الدولية والمواثيق السياسية ، كما حدث بينه وبين يهود المدينة عقب هجرته من مكة ، وكانت أول وثيقة سياسية وتتألف من حوالى خمسين بندا[٢] وتبدأ بهذه البداية :

« بسم الله الرحمن الرحيم :

١ - هذا كتاب من محمد النبى رسول الله بين المؤمنين

(١) الترمذى فى كتاب الاستئذان : باب ماجاء فى ختم الكتاب ٥/ ٦٩ - ٧٠ وقد عقب عليه بقوله : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) راجع مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة ص ٤١ ومابعدها .

والمسلمين من قريش وأهل يثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم .

٢ - أنهم أمة واحدة من دون الناس .

٣ - المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف » .. الخ .

* * *

* وكان يكتب لقواده فى السرايا بخطة المهمة الحربية التى يكلفون بها .

ومن ذلك ماحدث حين بعث عبد الله بن جحش فى السرية المعروفة باسمه ، وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضى لما أمره ، ولا يستكره من أصحابه أحدا على المسير معه[1] .

* كما كان يكتب مايترتب على المعارك الحربية من نتائج . ومن ذلك قسمة أموال خبير ، وقمحها ويذكر فى آخر الكتاب من يشهد عليه ومن يكتبه غالبا .

ففى آخر كتاب قسمة قمح خبير :

..د عثمان بن عفان وعباس وكتب .

(.) مجموعة الوثائق السياسية ص ٤٩ .

* وفى أمان يهود بنى عاديا من تيماء .

« بسم الله الرحمن الرحيم :

هذا كتاب من محمد رسول الله لبنى عاديا : ان لهم الذمة وعليهم الجزية » ..

وكتب خالد بن سعيد[1] .

* كذلك كان عليه السلام يكتب الى ولاته وأمرائه بما يحمل لهم دستور العمل فى مواقعهم ، وماينبغى أن تكون عليه علاقتهم بالله وبالناس ، واقامتهم للحق والعدل وشعائر الاسلام كما ينبغى أن تقام .

كما حدث فى كتابه الى ولاته باليمن [2] وكما حدث فى فريضة الزكاة فى الماشية ، حيث كتبها فى كتاب لم يخرجه الى عماله حتى قبض ، فقرنه بسيفه ، فعمل به أبو بكر حتى قبض ، ثم عمل به عمر حتى قبض[3] .

* * *

وهذه الكتب تمثل الى حد كبير دستور العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى الاسلام وفيها تفصيل لاجمال كثير من

---

(١) مجموعة الوثائق السياسية ص ٧٢ ، ٧٣ .

(٢) مجموعة الوثائق ص ١٦٦ - ١٦٩ .

(٣) مجموعة الوثائق ص ١٦٦ - ١٧٠ .

آيات القرآن ، كما أن فيها تمثيلا لشطر كبير من السنة ، وقد دون هذا كله على عهد النبى ﷺ وبأمره .

* * *

٨ - ومن كتاب الصحابة : سعد بن عبادة :

* وقد كان لسعد بن عبادة كتاب فى الحديث - رواه عنه ابنه - وجادة ، ثم روى عنه ، وحدث منه .

وروى الترمذى[١] بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قضى رسول الله ﷺ باليمين مع الشاهد الواحد .

ثم روى عقب الحديث قول ربيعة : وأخبرنى ابن لسعد بن عبادة قال : وجدنا فى كتاب سعد : أن النبى ﷺ قضى باليمين مع الشاهد .

* * *

الصحابى يتخذ لنفسه كاتبا :

* وكان الصحابى من الصحابة يتخذ لنفسه كاتبا ان لم يكن

---

(١) فى كتاب الأحكام : باب ماجاء فى اليمين مع الشاهد ٣ / ٦٢٧ وعقب أبو عيسى على الحديث بقوله : وفى الباب عن على وجابر وابن عباس ، ثم قال :
وحديث أبى هريرة أن النبى ﷺ قضى باليمين مع الشاهد الواحد حديث حسن غريب .

يكتب ثم كان يكاتب غيره ، وفى هذا يروى البخارى[(١)] بسنده عن سالم أبى النضر مولى عمر بن عبيد الله – وكان كاتبه – قال : كتب اليه عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنهما فقرأته : أن رسول الله ﷺ فى بعض أيامه التى لقى فيها العدو انتظر حتى مالت الشمس ، ثم قام فى الناس ، فقال : « أيها الناس .. لاتتمنوا لقاء العدو ، وسلوا الله العافية ، فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة

---

(١) فى كتاب الجهاد : باب الصبر على القتال ٦ / ٣٦ ، وباب : كان النبى ﷺ اذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس ٦/ ٩١ وباب « لاتتمنوا لقاء العدو » .

قال ابن حجر فى الموضع الأول : « الحديث حجة على رواية المكاتبة » أى حيث كتب عبد الله بن أبى أوفى الى عمر بن عبيد الله ، ورواها سالم قراءة عليه ، حيث كان كاتبه .

وفى تعليل النهى عن تمنى لقاء العدو نقل ابن حجر فى الموضع الأخير قول ابن بطال : حكمة النهى أن المرء لا يعلم مايئول اليه الأمر ، وهو نظير سؤال العافية من الفتن ثم روى قول الصديق أبى بكر : لأن أعافى فأشكر أحب الى من أن أبتلى فأصبر .

ثم قال ابن حجر : وقال غيره : انما نهى عن تمنى لقاء العدو لما فيه من صورة الاعجاب والاتكال على النفوس والوثوق بالقوة ، وقلة الاهتمام بالعدد .

وكل ذلك بيان للاختياط والأخذ بالحزم .

وقيل : يحمل النهى على مااذا وقع الشك فى المصلحة ، أو حصول الضرر . والا فالقتال فضيلة وطاعة .

ويؤيد الأول تعقيب النهى بقوله : « وسلوا الله العافية » .

تحت ظلال السيوف » ثم قال : « اللهم منزل الكتاب ، ومجرى السحاب ، وهازم الأحزاب ، اهزمهم وانصرنا عليهم » .

* * *

الصحابى وأبناؤه فى رواية الحديث :

* ولقد كان الصحابى يتلقى العلم عن رسول الله ﷺ فيلقيه أبناءه ، ويمليه عليهم ان كان باستطاعتهم أن يكتبوه .

فقد روى البخارى[1] بسنده عن عمرو بن ميمون الأودى قال : كان سعد يعلم بنيه هؤلاء الكلمات ، كما يعلم المعلم الغلمان الكتابة ، ويقول : ان رسول لله ﷺ كان يتعوذ منهن دبر الصلاة : « اللهم انى أعوذ بك من الجبن ، وأعوذ بك أن أرد الى أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا ، وأعوذ بك من عذاب القبر » .
فحدثت به مصعبا فصدقه .

ثم تتتابع رواية هذا الحديث فيغدو الطالب أستاذا ، والمتحمل مؤديا ، ولاأدل على هذا من أن مصعب بن سعد بن أبى وقاص بعد أن تحمل أمانة هذا الحديث وتلقاه عن أبيه كان بدوره يؤديه كما سمعه ، منبئا عن رواية أبيه له عن النبى ﷺ .

---

(١) فى كتاب الجهاد ، باب : مايتعوذ من الجبن ٦ / ٢٧ – ٢٨

فقد روى البخارى[1] بسنده عن عبد الملك بن عمير ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه كان يأمر بهؤلاء الخمس . ويخبرهن عن النبى ﷺ : « اللهم انى أعوذ بك من البخل ، وأعوذ بك من الجبن ، وأعوذ بك أن أرد الى أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر » .

* * *

الصحابى يأمر بنيه بكتابة الحديث :

كما كان الصحابى يأمر أبناءه بكتابة الحديث كلما تسنى ذلك .

وفى هذا يروى مسلم بسنده عن أنس بن مالك قال : حدثنى محمود بن ربيع عن عتبان بن مالك قال : قدمت المدينة فلقيت عتبان فقلت حديث بلغنى عنك ؟ قال أصابنى فى بصرى بعض الشيء[2] فبعثت الى النبى ﷺ انى أحب أن تأتينى فتصلى فى منزلى فأتخذه مصلى ، قال : فأتى رسول النبى ﷺ ومن شاء الله

---

(١) فى كتاب الدعوات . باب : التعوذ من البخل ١١/ ١٤٩ .

(٢) قال النووى : يحتمل أنه أراد ببعض الشيء : العمى وهو ذهاب البصر جميعه ويحتمل أنه اراد به ضعف البصر وذهاب معظمه ، وسماه عمى فى الرواية الأخرى لقربه منه ومشاركته اياه فى فوات بعض ماكان حاصلا فى حال السلامة ، والله أعلم .

من أصحابه فدخل وهو يصلى فى منزلى وأصحابه يتحدثون بينهم ، ثم أسندوا عظم[1] ذلك وكبره الى مالك ابن دخشم[2] قالوا : ودوا أنه دعا عليه فهلك ، وودوا أنه أصابه شر ، فقضى رسول الله ﷺ الصلاة وقال : أليس يشهد أن لااله الا الله وأنى رسول الله ؟ قالوا : انه يقول ذلك وماهو فى قلبه قال : « لا يشهد أحد أن لا إله الا الله وأنى رسول الله فيدخل النار أو تطعمه » قال أنس : فأعجبنى هذا الحديث فقلت لابنى : اكتبه ، فكتبه .

* * *

(١) عظم ذلك أى معظمه .

قال النووى : ومعنى قوله : أسندوا عظم ذلك وكبره انهم تحدثوا وذكروا شأن المنافقين وأفعالهم القبيحة وما يلقون منهم ونسبوا معظم ذلك الى مالك ..

(٢) قال النووى : وأعلم أن مالك بن دخشم هذا من الأنصار ذكر أبو عمر بن عبد البر اختلافا بين العلماء فى شهوده العقبة قال : ولم يختلفوا أنه شهد بدرا وما بعدها من المشاهد قال : ولايصح عنه النفاق فقد ظهر من حسن اسلامه مايمنع من اتهامه . هذا كلام أبى عمر رحمه الله قلت : وقد نص النبى ﷺ على ايمانه باطنا وبراءته من النفاق بقوله ﷺ فى رواية البخارى رحمه الله : ألا تراه قال : لا اله الا الله يبتغى وجه الله تعالى فهذه شهادة من رسول الله ﷺ له بأنه قالها مصدقا بها معتقدا صدقها متقربا بها الى الله تعالى وشهد له فى شهادته لأهل بدر بما هو معروف ، فلا ينبغى أن يشك فى صدق ايمانه رضى الله عنه . وفى هذه الزيادة رد على غلاة المرجئة القائلين بأنه يكفى فى الايمان النطق من غير اعتقاد فانهم تعلقوا بمثل هذا الحديث وهذه الزيادة تدمغهم ، والله أعلم .

وقد ذكر النووى أنواعا من العلم تستفاد من هذا الحديث منها :

* التبرك بآثار الصالحين .

* وزيارة العلماء والفضلاء والكبراء أتباعهم ، وتبريكهم اياهم .

* وفيه جواز استدعاء المفضول للفاضل لمصلحة تعرض .

* وفيه جواز الجماعة فى صلاة النافلة .

* وفيه أن السنة فى نوافل النهار ركعتان كالليل .

* وفيه جواز الكلام والتحدث بحضرة المصلين مالم يشغلهم ويدخل عليهم لبسا فى صلاتهم أو نحوه .

* وفيه جواز امامة الزائر المزور برضاه .

* وفيه ذكر من يتهم بريبة أو نحوها للأئمة وغيرهم ليتحرز منه .

* وفيه جواز كتابة الحديث وغيره من العلوم الشرعية لقول أنس لابنه : اكتبه بل هى مستحبة[1] .

والى جواز هذا وذاك فقد كان الصحابة - كذلك - يأمرون بكتابة العلم ، وتدوين الحديث .

* وقد روى الحاكم فى المستدرك[2] أن عمر بن الخطاب رضى لله عنه كان يقول : « قيدوا العلم بالكتاب » .

---

(١) راجع النووى على مسلم ١/ ٢٤٢ - ٢٤٤ .

(٢) راجع المستدرك ١/ ١٠٦ باسناد صحيح على ماقرره الذهبى .

* وأن أنس بن مالك كان يأمر بنيه بمثل ذلك .
وقد مضى تطبيقه لذلك .

* * *

استنتاج مماتقدم :

ونستنتج من هذا الذى قدمناه مايلى :
١ – ان النبى ﷺ قد أمر بكتابة السنة . لمن طلب أن تكتب له وأذن فى كتابتها لمن استأذنه فى هذه الكتابة .

٢ – ان النبى ﷺ كان يأمر بكتابة المعاهدات والمواثيق الدولية كما كان يأمر بكتابة رسائله الى عماله وأمرائه . وكانت هذه الرسائل والمواثيق تمثل شطرا كبيرا من السنة المحمدية فى التشريع والمعاملات السياسية والعلاقات الدولية .

٣ – ان الحفظة للسنة من الصحابة كانوا يدونون لأنفسهم ما يحفظونه ، أو يأمرون غيرهم بتدوينه .

٤ – ان كثيرا من الصحابة كان يأمر أبناءه بكتابة السنة وتدوينها ، ومنهم أنس بن مالك ، وعمر بن الخطاب .

٥ – انه كانت لأعلام الصحابة كتب وصحف دون فيها كثير من السنة ، وأن هذه الكتب كانت من أنفس ماورثه هؤلاء الأعلام لأبنائهم ، وأنها تتابعت الرواية لأكثرها جيلا بعد جيل .

٦ - انه كان لمن اضطلع بكتابة السنة من الصحابة تلاميذ من التابعين تلقوا عنهم السنة ، وتحملوا أمانتها ، ثم أدوها بدورهم لأتباع التابعين ، وظل التسلسل فى الرواية الى أن دونت السنة بصفة رسمية ، وباشراف الدولة فى عهد عمر بن عبد العزيز .

٧ - ان أول كتاب من كتب الحديث يصلنا كاملا هو من الكتب المدونه فى النصف الأول من القرن الأول الهجرى ، وهى صحيفة همام ابن منبه عن أبى هريرة عن الرسول ﷺ .

٨ - ان من كتاب الصحابة : عبد الله بن عمرو ، وسمرة بن جندب ، وأبا هريرة وكان يملى على من يكتب له ، وعلى بن أبى طالب ، وأبا رافع مولى رسول الله ﷺ ، وعبد الله بن عباس ، وأنس بن مالك ، وخالد بن سعيد وسعد بن عبادة ، وعبد الله بن أبى أوفى .

٩ - أن آخر الأمر من النبى ﷺ وقبيل أن يلحق بالرفيق الأعلى كان أمره بكتابةماافترض الله من أنواع الزكاة ومأوجب فى هذه الأنواع ، وماحدد فيها من نصاب .

* * *

ماجاء فى النهى عن كتابة الحديث
فى العهد النبوى

هكذا رأينا كيف كان تدوين السنة على عهد النبى ﷺ ! وكيف كان اذنه عليه السلام فى كتابتها؟ او كيف كان أمره بذلك أيضا ؟ .

بيد أن متابعة البحث فى هذه المسألة تقفنا على ماجاء عن النبى ﷺ من النهى عن الكتابة .

فهل كان النهى عن الكتابة عاما ؟ ومتى كان ذلك النهى ؟ وكيف- اذن - نوفق بين هذا النهى وبين ماسبق أن أثبتناه من الكتابة ، والأمر بها ، والإذن فيها ؟ وماهى هذه الأحاديث ؟ .

هذا سنوضحه - بعون الله - فيمايلى :

النهى عن الكتابة

١ - روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« لاتكتبوا عنى ، ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عنى ولاحرج ، ومن كذب على - قال همام : أحسبه قال : متعمدا - فليتبوأ مقعده من النار »[1] .

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الزهد باب التثبت فى الحديث وحكم كتابة العلم ١٢٩/١٨ .

٢ – روى الترمذى من حديث أبى سعيد الخدرى ، قال :
« استأذنا رسول الله ﷺ فى الكتابة فلم يأذن لنا »[١] .

٣ – أخرج الامام أحمد فى المسند من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال :

« كنا قعودا نكتب مانسمع من النبى ﷺ ، فخرج علينا فقال : ماذا تكتبون؟ فقلنا : مانسمع منك؟ فقال : أكتاب مع كتاب الله؟ محضوا كتاب الله وخلصوه ، قال : فجمعنا ماكتبناه فى صعيد واحد ، ثم أحرقناه بالنار ، قلنا : أى رسول الله .. أنتحدث عنك ؟ قال : نعم ، حدثوا عنى ولاحرج ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

* * *

(١) الترمذى فى كتاب العلم : باب ماجاء فى كراهية كتابة العلم ٣٨/٥ وعقب عليه بقوله : وقد روى هذا الحديث من غير الوجه أيضا عن زيد بن أسلم ، رواه همام عن زيد بن أسلم .

التوفيق بين الاذن فى الكتابة والنهى عنها

لعل من البدائة أن النهى عن الكتابة والاذن فيها لايمكن أن يكون قد صدر كلاهما فى وقت واحد ، ومن هنا فنحن نستطيع أن نقول :

(أ) ربما كان النهى عن الكتابة أول الأمر ، ثم جاء الاذن فى الكتابة - بعدئذ - بعد أن تلاشت الأسباب الداعية الى النهى عنها .

لقد كان الصحابة يتبادرون الى كتابة كل مايقرؤه النبى ﷺ عليهم أو يعلمهم اياه .

ولو قد أذن لهم وقتئذ - والاسلام غض الاهاب - لكان ذلك ذريعة الى احتمال أن يكتب الحديث مع الآية فى صحيفة واحدة بل ربما كتبت آية فحديث فآية فحديث ، ثم يعسر عليهم تمييز هذا من ذاك وهم بعد لم يتمرسوا ببيان القرآن ولابخصائصه ، سيما من لم يكن منهم من فرسان البلاغة ، فحتى يتم التمييز ، ويؤمن اللبس . كان النهى .

(ب) كان صلوات الله وسلامه عليه مطمئنا الى حفظ السنة فى صدور الحفظة من الصحابة وقد كانت خصيصة العرب آنئذ الذاكرة الحافظة ، لعدم انتشار الكتابة فيهم ، وقد قال تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ (١)

(جـ) زيادة فى الحرص ، وضمانا لعدم التغيير والتبديل ، كان ﷺ يدعو الى تبليغ مقالته كما هى بعد سماعها ووعيها فيقول :

« نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها ثم أداها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع ، ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه » .

ولايكتفى صلوات الله وسلامه عليه بذلك بل يوعد أشد الوعيد على من يقول عليه مالم يقل ، فيقول ﷺ : « من قال على مالم أقل فليتبوأ مقعده من النار » كما يقول عليه السلام : « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

(د) كان قصر وجوب الكتابة على القرآن تيسيرا على الأمة ، إذ أن السنة كبيرة الحجم ، تشمل أقوال الرسول ﷺ وأعماله وتشريعاته منذ مبعثه الى مهاجره ، الى أن لحق بالرفيق الأعلى ، فلو فرضت كتابة السنة حينئذ مع وجوب كتابة القرآن لنال المسلمين من المشقة والحرج مالا طاقة لهم بتحمله فكان من الحكمة والرفق بالأمة قصر وجوب الكتابة على القرآن ، مع الاحتياط للسنة ، ذلك الاحتياط السالف حتى تنتشر الكتابة ، أو يؤمن اللبس .

---

(١) سورة الجمعة : ٢

(هـ) ربما كان النهى مقصورا على بعض الصحابة ، فقد قيل ان النهى كان خاصا بمن يخشى منه الاعتماد على الكتابة دون الحفظ ، وقد كان يرجى ان لايعتمد الرواة للحديث على وسيلة دون أخرى ، سيما اذا كانت هذه الوسيلة هى الكتابة ففى هذا – لو حدث – تعطيل لملكة الحفظ التى وهبهم الله اياها ، واختصهم بها .

ومن هنا قيل ان الاذن فى الكتابة كان خاصا بمن لايعتمد الاعتماد الكلى على الكتابة ، وانما يجمع بينها وبين الحفظ .

* * *

* على أية حال فقد جاء الاذن فى الكتابة خاصا ببعض الصحابة دون البعض الآخر ، أو جاء خاصا ببعض الأحوال دون بعضها الآخر ، أو جاء الاذن عاما بعد أن كان المنع عاما حين زال المقتضى للمنع من الكتابة وهو خشية اللبس حين كان الوحى يتنزل ، والداخلون فى الاسلام – يومئذ – من الاعراب وغيرهم لم يتمرسوا – بعد – بأسلوب القرآن ، فلم يؤمن أن يخلطوا به غيره ، مما يؤذن لهم فى كتابته .

وعلى هذا يكون الاذن ناسخا للمنع الذى كان أول الأمر .

* * *

من أقوال العلماء في التوفيق بين هذه الأحاديث :

* قال النووى[١] : واختلفوا فى المراد بهذا الحديث الوراد فى النهى ، فقيل : هو فى حق من يوثق بحفظه ويخاف اتكاله على الكتابة اذا كتب ويحمل الأحاديث الواردة بالاباحة على من لايوثق بحفظه كحديث : اكتبوا لأبى شاه ، وحديث صحيفة على رضى الله عنه ، وحديث كتاب عمرو بن حزم الذى فيه الفرائض والسنن والديات وحديث كتاب الصدقة ونصب الزكاة الذى بعث به أبو بكر رضى الله عنه أنسا رضى الله عنه حين وجهه إلى البحرين . وحديث أبى هريرة أن ابن عمرو بن العاص كان يكتب ولاأكتب ، وغير ذلك من الأحاديث وقيل إن حديث النهى منسوخ بهذه الاحاديث .

* * *

* ويقول ابن قتيبة[٢] : ان فى هذا معنيين :

أحدهما : أن يكون من منسوخ السنة بالسنة ، كأنه نهى فى أول الأمر عن أن يكتب قوله ، ثم رأى بعد - لما علم أن السنن تكثر وتفوت الحفظ - أن تكتب وتقيد .

والمعنى الآخر أن يكون خص بهذا عبد الله بن عمرو ، لأنه كان قارئا للكتب المتقدمة ، ويكتب بالسريانية والعربية ، وكان

(١) النووى على مسلم ١٨/١٣٠ .

(٢) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٢٨٦ .

غيره من الصحابة أميين ، لايكتب منهم الا الواحد والاثنان ، واذا كتب لم يتقن ، ولم يصب التهجى .

فلما خشى عليهم الغلط فيما يكتبون ، نهاهم ، ولما أمن على عبد الله ابن عمرو ذلك ، أذن له .

* * *

ويقول الشيخ أحمد محمد شاكر[1] :

وهذه الأحاديث ، مع استقرار العمل بين أكثر الصحابة والتابعين ، ثم اتفاق الأمة بعد ذلك على جوازها – كل هذا يدل على أن حديث أبى سعيد منسوخ ، وأنه كان فى أول الأمر ، حين خيف اشتغالهم عن القرآن وحين خيف اختلاط غير القرآن بالقرآن .

وحديث أبى شاه فى أواخر حياة النبى ﷺ ، وكذلك اخبار أبى هريرة ، وهو متأخر الاسلام ، أن عبد الله بن عمرو كان يكتب ، وأنه هو لم يكن يكتب : يدل على أن عبد الله كان يكتب بعد اسلام أبى هريرة ولو كان حديث أبى سعيد فى النهى متأخرا عن هذه الأحاديث فى الاذن والجواز ، لعرف ذلك عند الصحابة يقينا صريحا .

ثم جاء اجماع الأمة القطعى بعد قرينة قاطعة على أن الاذن هو الأمر الأخير .

وهو اجماع ثابت بالتواتر العملى ، عن كل طوائف الأمة بعد الصدر الأول . رضى الله عنهم أجمعين .

(١) فى الباعث الحثيث ص ١٤٩ .

بين التدوين والرواية
فى العهد النبوى

الرواية عن النبى ﷺ رواية لدين ، ورواية لمنهج كامل فى العقيدة والتشريع والأخلاق والسلوك .

ثم ان الرواية عن النبى ﷺ رواية عن المثل الأعلى الذى جعل الله فيه الأسوة الحسنة ، والقدوة الطيبة ، والذى جعل الله حديثه سنة ، وسنته تشريعا ، وتشريعه منهجا ، ومنهجه هو السنن القويم ، والصراط المستقيم

* * *

واذن فالرواية عن النبى ﷺ ليست كالرواية عن أى أحد ؟ .
والكذب على الرسول ﷺ ليس كالكذب على أى أحد !؟

ومن هنا كانت دعوته ﷺ الى وجوب أداء حديثه ومقاله كما سمع دون تزييف أو تغيير .

ثم كان تحذيره ﷺ من أن يقال عليه مالم يقل ، فلذلك أشنع الآثار ، وأسوأ العواقب .

بل كان توجيهه ﷺ الى وجوب تحرى الدقة ، والاقلال من الرواية ، وعدم التحدث بكل مايسمع المرء ، حتى لايتورط فى التحدث بغير الحق والصدق ، وهذا مايستبين من هذه التوجيهات

النبوية الجامعة ، التى تشنع على الكاذبين ، وتمنع الرواة من التسرع فى الرواية دون توخى الدقة وتحرى الصدق .

ووصولا الى هذه الغاية نرى التوجيهات النبوية تتنوع فى التحذير والتشنيع .

١ - فتارة يكون التشنيع عن طريق المقارنة بين الكذب على الرسول والكذب على غيره ، وبيان ان الكذب عليه أشنع من الكذب على أى أحد . وذلك فيما يرويه البخارى ومسلم من حديث المغيرة بن شعبة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

« ان كذبا على ليس ككذب على أحد ، من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار »[1] .

٢ - وبناء على هذا الأساس يكون النهى عن الكذب على الرسول أمرا منطقيا ، ويجىء النهى عن الكذب عليه ﷺ ، لونا آخر من ألوان التوجيه النبوى فيما يتعلق بالمباعدة بين المؤمن وبين الكذب فى الرواية عنه عليه السلام .

ويروى البخارى ومسلم من حديث على رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ :

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز : باب مايكره من النياحة على الميت ١٣٠/٣ .
ومسلم فى مقدمة صحيحه : باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ ١٠/١ .

« لاتكذبوا على ، فانه من كذب على يلج النار »[١] .

٣ – وتارة يأتى التوجيه النبوى زجرا للمرء عن أن يتحدث بكل مايسمع ، فان الانسان يسمع من الناس أخبارا والخبر يحتمل الصدق والكذب ، فاذا تلقف المرء الخبر من الناس ثم رواه لغيره دون تحر أو تمحيص ، فقد يروِى الكذب وهو يحسب أنه صادق ومن هنا يكون سببا فى اشاعة الخبر الكاذب فقد ينقله عنه غيره – كذلك – دون أن يدرى أنه كاذب .

وليس ثمت أشنع من كذب يشيعه صاحبه على أنه صدق ، كما أنه ليست ثمت أخطر من اشاعة الباطل على أنه حق .

وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال :

« كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ماسمع »[٢] .

* * *

(١) أخرجه البخارى فى كتاب العلم : باب اثم من كذب على النبى ﷺ ١٧٨/١ . ومسلم فى المقدمة : باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ ٩/١ .

(٢) اخرجه مسلم فى الصحيح : باب النهى عن الحديث بكل ماسمع ١٠/١ ، وأبو داود فى كتاب الأدب : باب التشديد فى الكذب ٤٠٨/٤ ، والحاكم فى المستدرك ١١٢/١ وصححه على شرط مسلم وأقره الذهبى ، وابن حبان فى الصحيح ١٦٧/١ ، والبغوى فى شرح السنة ٢٣٧/١ (بتحقيقنا) .

سلوك الصحابة بالنسبة لهذه التوجيهات :

ولم يك عجيبا أن يتسق مسلك الصحابة بالنسبة للرواية مع هذه التوجيهات النبوية الحكيمة ، ولنجتزىء من هذه المواقف بمايلى :

١ – أبو بكر وموقفه من الرواية :

* هذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه يقول :

« أى أرض تقلنى وأى سماء تظلنى ، اذا قلت على الله مالم أعلم » .

وقد كان بحكم توليه الخلافة بعد رسول الله ﷺ مفزع الناس فى القضايا والأحكام ، ومن هنا كان أول من سن للناس التحرى فى قبول الأخبار والتثبت من صحة الآثار .

روى ابن شهاب الزهرى ، عن قبيصة أن الجدة جاءت الى أبى بكر تلتمس أن تورث فقال : ماأجد لك فى كتاب الله شيئا ، وماعلمت أن رسول لله ﷺ ذكر لك شيئا ، ثم سأل الناس فقام المغيرة فقال كان رسول الله ﷺ يعطيها السدس فقال : هل معك أحد ؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك ، فأمضاه أبو بكر رضى الله عنه[1] .

* * *

(١) تذكرة الحفاظ للذهبى ٣/١ .

ولئن كان هذا تحوطا من الصديق فيما يتعلق بالرواية ، فقد كان منه تحوط آخر فيما يتعلق بتدوين السنة .

فعن عائشة رضى الله عنها قالت : جمع أبى الحديث عن رسول الله ﷺ ، وكانت خمسمائة حديث ، فبات يتقلب كثيرا فغمنى ، فقلت : أتتقلب لشكوى أو لشىء آخر بلغك ؟ فلما أصبح قال : أى بنية .. هلمى الأحاديث التى عندك ، فجئته بها ، فدعا بنار فأحرقها ، فقلت : لم أحرقتها؟ فقال : خشيت أن أموت وهى عندى فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت به ، ولم يكن كما حدثنى ، فأكون قد نقلت ذاك ، فهذا لايصلح[1] .

* * *

٢ - عمر ورواية الحديث :

* وهذا عمر رضى الله عنه ، يسير على أثر أبى بكر فى الاحتياط للرواية ، وشدة التحرى فيها . بل ربما زاد فضيق الخناق على الراوى ، أو توعده وهدده ، حتى يستبين صدقه ، فيعمل بقوله ، ويجيز روايته .

* وقد روى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : ان أبا موسى الأشعرى سلم على عمر من وراء الباب - ثلاث مرات - فلم يؤذن له ، فرجع ، فأرسل عمر فى اثره ، فقال : لم رجعت ؟ قال سمعت

---

(١) تذكرة الحفاظ ٣/١ .

رسول الله ﷺ يقول : « إذا سلم أحدكم ثلاثا فلم يجب فليرجع » فقال عمر : « لتأتينى على ذلك ببينة أو لأفعلن بك » فجاءنا أبو موسى منتقعا لونه ، ونحن جلوس ، فقلنا «ماشأنك» فأخبرنا ، وقال : «فهل سمع أحد منكم»؟ فقلنا «نعم كلنا سمعه» .

فارسلوا معه رجلا منهم ، فأخبره .

واطمأنت نفس عمر الى صدق رواية أبى موسى ، بقدر مااطمأنت الى وجوب العمل بها .

ورواية أبى داود الطيالسى[1] لهذه القصة ترينا الى أى مدى كان لوعيد عمر وتهديده أثره البعيد فى مشاعر أبى موسى رضى الله عنه ، ثم ترينا كذلك كيف كانت مسارعة الصحابة الى نجدته ، وكيف كان لحفظ الصحابة لهذا الحديث ، ونجدتهم هذه أعظم الأثر فى ازالة المخاوف التى ساورته من تهديد عمر له .

* فقد روى أبو داود الطيالسى من حديث أبى سعيد الخدرى أن أبا موسى الأشعرى استأذن على عمر ثلاثا ، فلم يؤذن له ، فرجع فأرسل اليه ، فقال : انى استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لى ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : «اذا استأذن المستأذن فلم يؤذن له فليرجع » . فقال عمر لتأتينى بمن يعلم هذا أو لأفعلن بك ولأفعلن !؟ قال أبو سعيد : جاءنى الأشعرى يرعد ، قد اصفر لون

---

(١) فى المسند ص ٧٠ ح ٥١٨ .

وجهه ، فقام على حلقة من أصحاب النبى ﷺ فقال : أنشد الله رجلا علم من هذا علما الا قام به ، فانى قد خفت هذا الرجل على نفسى ، فقلت : أنا معك ، وقال آخر : وأنا معك ، فسرى عنه .

وقد روى مسلم فى صحيحه هذا الحديث من وجوه عديدة عن أبى سعيد[١] وفيها :

* أن أبا موسى أتى أصحابه فى مجلس الأنصار فزعا مذعورا ، وأن عمر قال : أقم عليه البينة والا أوجعتك .

* وفيها أن عمر قال لأبى موسى : فو الله لأوجعن ظهرك وبطنك أو لتأتين بمن يشهد على هذا .

* وفيها كذلك اعتراف من عمر بسبب عدم معرفته بالحديث ، بعد أن شهد الصحابة بسماع الحديث من رسول الله ﷺ ، قال عمر :

« خفى على هذا من أمر رسول الله ﷺ ، ألهانى عنه الصفق[٢] بالأسواق » .

* ولم يكن هذا من عمر اتهاما لأبى موسى أو لغيره من

---

(١) فى كتاب الآداب : باب الاستئذان ١٦٩٤/٣ ومابعدها .

(٢) الصفق أن يعطى الرجل الرجل عهده وميثاقه لأن المتعاهدين يضع احدهما يده فى يد الآخر كما يفعل المتبايعان ، والصفقة : المرة من التصفيق باليدين ، والصفق بالأسواق : التبايع والتعامل التجارى فيها . راجع النهاية ٣٨/٣ .

الصحابة ، فالصحابة كلهم عدول مأمونون ، قد شهد لهم النبي ﷺ حيث قال : « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم» .

انما كان عمر يريد أن يتثبت ، بل يريد ليضع للناس من حوله ومن بعده منهجا في التثبت ، حيث انقطع الوحي الذي كان يكشف للرسول ﷺ أمر أعداء الدين ونواياهم ، وبانتقال الرسول ﷺ الى الرفيق الأعلى نجم النفاق ، وارتد عن الاسلام من ارتد ، وامتنع عن بعض الشعائر من امتنع ، وأطلت الفتن برؤوسها ، وتوثب على الاسلام من توثب ، فتحتم الاحتياط ، ووجب ابراز منهج التحرى حتى لايظن أعداء الاسلام أن الرواية على النبي ﷺ كلأ مستباح ، وأن الكذب عليه ، والكيد لدينه امر سيجوز على المجتمع الاسلامي دون أن يتصدى له المسلمون بالنقد والتزييف .

* يوضح هذا مارواه الذهبي : أن عمر قال لأبي بن كعب - وقد روى له حديثا - «لتأتيني على ماتقول ببينة ، فخرج فاذا ناس من الأنصار ، فذكر لهم ، فقالوا : قد سمعنا هذا من رسول الله ﷺ ، فقال عمر : أما إني لم اتهمك ، ولكن أحببت أن أتثبت » .

بل يوضحه كذلك مارواه مسلم[1] من حديث أبي بردة عن أبي موسى الأشعري في حديث الاستئذان ، وفيه أن عمر قال : لتأتيني على ذلك ببينة والا فعلت وفعلت ، فذهب أبو موسى .

---

(١) في كتاب الآداب : باب الاستئذان ١٦٩٦/٣ .

قال عمر : ان وجد بينة تجدوه عند المنبر عشية ، وان لم يجد بينة فلم تجدوه ، فلما أن جاء بالعشى وجدوه قال : ياأبا موسى ماتقول ؟ أقد وجدت ؟ قال : نعم . أبى بن كعب . قال : عدل . قال : ياأبا الطفيل مايقول هذا ؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك ياابن الخطاب .. لاتكونن عذابا على أصحاب رسول الله ﷺ . قال : سبحان الله ! انما سمعت شيئا فأحببت أن أتثبت .

وتثبت عمر سنة ، وقد ﷺ : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين » .

واذن فهو يسن لنا — بهذا — منهج التثبت فى الرواية ، ودقة التحرى فى قبول الخبر .

* وقد أبان عمر رضى الله عنه عن الدافع الأساسى الى التشدد فيما يتعلق بقبول الأخبار — حين قال فى احدى خطبه :

أيها الناس .. ألا انا كنا نعرفكم ، اذ بين أظهرنا النبى ﷺ ، واذ ينزل الوحى ، واذ ينبئنا الله من أخباركم ، ألا وان النبى ﷺ قد انطلق ، وقد انقطع الوحى ، وانما نعرفكم بما نقول لكم : من أظهر منكم خيرا ظننا به خيرا وأحببناه عليه ، ومن أظهر منكم شرا ظننا به شرا وأبغضناه عليه ، سرائركم بينكم وبين ربكم .. الحديث[1] .

---

(١) أخرجه بتمامه أحمد فى المسند ٢٧٨/١ باسناد حسن كما ذكر محققة الشيخ احمد شاكر .

٣ - عثمان ورواية الحديث :

أما عثمان رضى الله عنه فقد كان يشفق من الرواية وجلا من الوعيد على التغيير فى الحديث .. وكان رضى الله عنه يقول : مايمنعنى أن أحدث عن رسول الله ﷺ أن لا أكون أوعى أصحابه ، ولكنى أشهد : لسمعته يقول : «من قال على مالم أقل فليتبوأ مقعده من النار»[١] .

ومع هذا فقد كانت تتصارع فى نفسه دوافع نشر السنة ، وتبليغ الحديث مع هذا المانع الآنف .

* وحسبما يتغلب أحد الأمرين يكون مسلكه رضى الله عنه .

* فقد يحجم عن الرواية لحديث بذاته لفترة تطول أو تقصر ، ثم يرى آخر الأمر أن يحدث به ، حذرا من أن يقصر فى واجب التبليغ ، بعد أن يرى أن لامفر منه ، خشية أن يفوت المسلمين العلم به .

وقد يمنعه من الرواية أمر يتوقعه ممن يسمعه ، فاذا زال هذا المانع تحدث به .

وقد روى احمد فى المسند من حديث أبى صالح : مولى عثمان أنه قال : سمعت عثمان يقول على المنبر : أيها الناس .. انى

(١) أخرجه أحمد فى المسند ٣٦٣/١ - ٣٦٤ (المعارف) باسناد صحيح كما ذكر محققه الشيخ أحمد شاكر ، وأخرجه ابو داود الطيالسى فى المسند ص ١٤ح ٨ .

كتمتكم حديثا سمعته من رسول الله ﷺ ، كراهية تفرقكم عنى ، ثم بدالى ان أحدثكموه ، ليختار امرؤ لنفسه مابدا له ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : «رباط يوم فى سبيل الله تعالى خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل»[1] .

* وقد يرى أن يحدث بحديث ، ثم يبدو له فيشفق من روايته ، ثم يقتنع أخيرا بوجوب التحدث به ، فيرويه لمن تمس حاجتهم اليه ، أو يشتد طلبهم له .

وقد روى أحمد فى المسند من حديث حمران قال : كان عثمان يغتسل كل يوم مرة منذ أسلم ، فوضعت وضوءا له ذات يوم للصلاة ، فلما توضأ قال : انى أردت أن أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله ﷺ ، ثم قال : بدا لى أن لاأحدثكموه ، فقال الحكم بن أبى العاص : يأمير المؤمنين .. ان كان خيرا فنأخذ به ، أو شرا فنتقيه ؟ قال : فقال : فانى محدثكم به : توضأ رسول الله ﷺ هذا الوضوء ثم قال : من توضأ هذا الوضوء فأحسن الوضوء ، ثم قام الى الصلاة فأتم ركوعها وسجودها كفرت عنه مابينها وبين الصلاة الأخرى ، مالم يصب مقتلة »[2] .

يعنى كبيرة .

(١) أخرجه أحمد فى المسند ٣٦٤/١ (المعارف) باسناد صحيح كما ذكر محققه الشيخ احمد شاكر .

(٢) أخرجه أحمد فى المسند ٣٧٠/١ (المعارف) باسناد صحيح كما ذكر محققه الشيخ احمد شاكر .

٤ – على ورواية الحديث :

وهذا هو على كرم الله وجهه يسلك مسلك التحرى والتحوط فى الرواية عن رسول الله ﷺ فيحلف الرواة قبل أن يقبل روايتهم ، مالم يكن الراوى فى الدرجة العليا من التثبت والضبط والاتقان كأبى بكر وعمر .

وقد روى أحمد فى المسند[١] من حديث على رضى الله عنه قال :

* كنت اذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثا نفعنى الله بما شاء منه .

* واذا حدثنى عنه غيرى استحلفته ، فاذا حلف لى صدقته .

* وان أبا بكر حدثنى – وصدق أبو بكر : أنه سمع النبى ﷺ قال :

« ما من رجل يذنب ذنبا فيتوضأ فيحسن الوضوء ثم يصلى ركعتين ، فيستغفر الله عز وجل الا غفر له» .

* * *

٥ – ابن مسعود ورواية الحديث :

ـــ كان ابن مسعود رضى الله عنه يحدث عن رسول الله ﷺ بيد

---

(١) المسند ١/١٥٣ – ١٥٤ .

أنه كان يحتاط أشد الاحتياط ، ويشفق أعظم الاشفاق أن يغير حرفا ، أو يبدل كلمة ، ومن هنا كان لايسند الحديث الى الرسول ﷺ بصيغة الجزم ، فلا يقول : قال رسول الله ، وحدث مرة أن قال : قال رسول الله ﷺ فانتابه انفعال حاد تغيرت به حاله ، وتقاطرت دموعه ، ، البث أن عقب على الحديث بتعقيبات عديدة ينفى بها أن يكون ساده ماأسند الى رسول الله ﷺ بنفس الصيغة حتى يخرج نفسه من عهدة اسناد قد يكون فيه بعض التغيير دون أن يقصد أو يشعر .

ويحدث عمرو بن ميمون فيقول :

« ماأخطأنى ابن مسعود عشية خميس الا أتيته فيه ، قال : فما سمعته يقول بشىء قط ، قال رسول الله ﷺ . فلما كان ذات عشية قال : قال رسول الله ﷺ . قال : فنكس . قال : فنظرت اليه فهو قائم محللة أزرار قميصه ، قد اغرورقت عيناه ، وانتفخت أوداجه . قال : أو دون ذلك . أو فوق ذلك . أو قريبا من ذلك أو شبيها بذلك[1] .

* * *

---

(١) أخرجه ابن ماجه فى مقدمة السنن ١/١٠ – ١١ باسناد صحيح ، واحتج الشيخان بجمع رواته كما ذكر ذلك صاحب الزوائد .

٦ - ابن عباس ورواية الحديث :

وعن طاوس قال : جاء هذا الى ابن عباس - يعنى بشير بن كعب - فجعل يحدثه فقال له ابن عباس : عد لحديث كذا وكذا فعاد له ، ثم حدثه فقال له : عد لحديث كذا وكذا ، فعاد له ، فقال له : ماأدرى أعرفت حديثى كله وأنكرت هذا أم أنكرت حديثى كله وعرفت هذا؟ فقال له ابن عباس : انا كنا نحدث عن رسول الله ﷺ اذ لم يكن يكذب عليه ، فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه[1] .

وتعقيبا على هذا الحديث قال النووى :

وفى الرواية الأخرى : ركبتم كل صعب وذلول فهيهات فهو مثال حسن ، وأصل الصعب والذلول فى الابل ، فالصعب : العسر المرغوب عنه . والذلول : السهل الطيب المحبوب المرغوب فيه ، فالمعنى : سلك الناس كل مسلك مما يحمد ويذم ، وقوله : فهيهات أى بعدت استقامتكم ، أو بعد أن نثق بحديثكم ، وهيهات موضوعة لاستبعاد الشيء واليأس منه . قال الامام أبو الحسن الواحدى : هيهات اسم سمى به الفعل وهو بعد فى الخبر لا فى الأمر قال : ومعنى هيهات بعد . وليس له اشتقاق لأنه بمزلة

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب الايمان : باب النهى عن رواية الضعفاء ١/٨٠ .

الأصوات ، قال : وفيه زيادة ليست فى بعد ، وهو أن المتكلم يخبر عن اعتقاده استبعاد ذلك الذى يخبر عن بعده فكأنه بمنزلة قوله بعد جدا ! ومأأبعده الا على أن يعلم المخاطب مكان الشىء فى البعد ، ففى هيهات زيادة على بعد ، وان كنا نفسره به ، ويقال : هيهات ماقلت ، وهيهات لما قلت ، وهيهات لك ، وهيهات أنت .

* * *

٧ - ابن عمر وسعد بن مالك ورواية الحديث :

كانوا يمتنعون عن رواية الحديث لفترات طويلة :

* قال الشعبى : جالست ابن عمر سنة فما سمعته يحدث عن رسول الله ﷺ شيئا[١] .

* عن السائب بن يزيد قال : صحبت سعد بن مالك من المدينة الى مكة ، فما سمعته يحدث عن النبى ﷺ بحديث واحد[٢] .

* * *

٨ - أنس بن مالك وروايته للحديث :

وكان أنس رضى الله عنه لايكثر من الرواية ، وكان يعلل تقليله من الرواية بقوله :

(١) ابن ماجه فى مقدمة السنن ١١/١ .

(٢) ابن ماجه فى مقدمة السنن ١٢/١ .

« انه ليمنعنى أن أحدثكم حديثا كثيرا أن النبى ﷺ قال : « من نعمد على كذبا فليتبوأ مقعده من النار»[١] .

فاذا ماتحدث أنس الى الناس عن الرسول ﷺ نهج منهج ابن مسعود فى التعقيب على الحديث بما يعفيه من عهدة تغيير حرف أو كلمة دون قصد أو شعور مع شدة احتياطه ، ودقة تحريه ، وعدم تغييره فى المعنى .

ويروى محمد بن سيرين فى هذا فيقول :

كان أنس بن مالك اذا حدث عن رسول الله ﷺ حديثا ففرغ منه قال : أو كما قال رسول الله ﷺ[٢] .

* * *

(١) أخرجه البخارى فى كتاب العلم: باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب ١/١٧٩ - ١٨٠ ، ومسلم فى مقدمة الصحيح ١/١٠ .

وقوله : «فليتبوأ» معناه : فلينزل ، وقيل فليتخذ منزله من النار ، وقال الخطابى : أصله من مباءة الإبل وهى أعطانها .

(٢) أخرجه ابن ماجه فى مقدمة السنن ١/١١ .

وقد علق السندى فى حاشيته على الحديث فذكر أن قول انس تنبيها على أن ماذكره قد نقل بالمعنى ، وأما اللفظ فيحتمل ان يكون هو اللفظ المذكور ويحتمل أن يكون لفظا آخر ١/٨ .

٩ - زيد بن أرقم ورواية الحديث :

كان يمتنع - فى أخريات حياته - عن التحديث لأمرين :

١ - الاشفاق من أن يكون قد نسى شيئا من الحديث .

٢ - الاشفاق من أن يغير شيئا ، فان الحديث عن رسول الله ﷺ ذو خطورة بالغة .

* وعن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال : قلنا لزيد بن أرقم حدثنا عن رسول الله ﷺ ؟ قال : كبرنا ونسينا والحديث عن رسول الله ﷺ شديد(١) .

١٠ - الزبير بن العوام ورواية الحديث :

* كان الزبير بن العوام مصاحبا للنبى ﷺ ، وملازما له ، ثم كان بينه وبين الرسول ﷺ من القرابة والرحم مايقضى بكثرة التلقى عنه ، وعظم السماع منه ، ومع ذلك كان يحفظ وعيده عليه السلام على الكذب عليه ، وعلى نسبة مالم يقله اليه ، فكان يشفق أن يخبر دون قصد عن النبى بما لم يقله فيقع فى خطأ النسبة وهو لايشعر ، فيكون سببا فى أن يؤخذ عنه ، ويعمل به ، ولقد كان هذا الاشفاق يحمله على الاقلال من الرواية ، وربما حمله على عدم الرواية فى مواطن كثيرة خشية أن تزل قدم بعد ثبوتها .

---

(١) ابن ماجه فى مقدمة السنن ١/١١ .

ويحدث ابنه : عبد الله فيقول : قلت للزبير : انى لأأسمعك تحدث عن رسول الله ﷺ كما يحدث فلان وفلان[١] .

وفى رواية أخرى يقول عبد الله : عنانى ذلك - يعنى قلة الرواية - من الزبير فسألته عن ذلك فقال : يابنى .. كان بينى وبينه من القرابة والرحم ماعلمت ، وعمته أمى ، وزوجته خديجة عمتى ، وأمه آمنة بنت وهب ، وجدتى هالة بنت وهيب ابنى عبد مناف ابن زهرة وعندى أمك ، واختها عائشة عنده ، ولكنى سمعته يقول: « من كذب على فليتبوأ مقعده من النار»[٢] .

وفى رواية البخارى : «أما انى لم أفارقه ولكنى سمعت .. الحديث» .

وقد علل ابن حجر امتناع الزبير وغيره من الرواية أو من الاكثار منها بقوله :

وفى تمسك الزبير بهذا الحديث - على ماذهب اليه من اختيار قلة التحديث - دليل للأصح فى أن الكذب هو الاخبار بالشىء على خلاف ماهو عليه ، سواء أكان عمدا أم خطأ .

---

(١) سمى منهما فى رواية ابن ماجه : عبد الله بن مسعود .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب العلم : باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب ١٧٨/١ - ١٧٩ ، وابن ماجه فى مقدمة السنن ١٤/١ وعنده : مالى لأأسمعك تحدث عن رسول الله ﷺ كما أسمع ابن مسعود وفلانا وفلانا .

والمخطىء وان كان غير مأثوم بالاجماع لكن الزبير خشى من الاكثار أن يقع فى الخطأ وهو لايشعر ، لأنه وان لم يأثم بالخطأ لكن قد يأثم بالاكثار ، إذ الاكثار مظنة الخطأ ، والثقة اذا حدث بالخطأ فحمل عنه وهو لايشعر أنه خطأ ، يعمل به على الدوام للوثوق بنقله ، فيكون سببا للعمل بما لم يقله الشارع ، فمن خشى من الاكثار الوقوع فى الخطأ لايؤمن عليه الاثم اذا تعمد الاكثار .

فمن ثم توقف الزبير وغيره من الصحابة عن الاكثار من التحديث .

* * *

١١ - عائشة ورواية الحديث :

ولقد عرف التاريخ لأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها تثبتها فى الرواية ، ومراجعتها للصحابة ، وامتحانها للرواة ، حتى تتقبل رواتهم بقبول حسن .

وقد روى مسلم(١) من حديث عروة بن الزبير قال : قالت لى عائشة : يابن اختى .. بلغنى أن عبد الله بن عمرو مارّ بنا الى الحج فالقه فسائله ، فانه حمل عن النبى ﷺ علما كثيرا . قال فلقيته فساءلته عن أشياء يذكرها عن رسول الله ﷺ قال عروة : فكان

---

(١) فى كتاب العلم : باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن فى آخر الزمان ٤/٢٠٥٩ .

فيما ذكر ، أن النبى ﷺ قال « ان الله لاينتزع العلم من الناس انتزاعا . ولكن يقبض العلماء فيرفع العلم معهم . ويبقى فى الناس رؤوسا جهالا ، يفتونهم بغير علم . فيضلون ويضلون » .

قال عروة : فلما حدثت عائشة بذلك ، أعظمت ذلك وأنكرته قالت أحدثك أنه سمع النبى ﷺ يقول هذا ؟ .

قال عروة : حتى اذا كان قابل ، قالت له : ان ابن عمرو قد قدم فالقه . ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذى ذكره لك فى العلم قال : فلقيته فساءلته . فذكره لى نحو ماحدثنى به ، فى مرته الأولى .

قال عروة : فلما أخبرتها بذلك قالت : ماأحسبه الا قد صدق أراه لم يزد فيه شيئا ولم ينقص .

* * *

استنتاج مما تقدم :

وبعد هذه المواقف المختارة على سبيل المثال لا الحصر - نستنتج مايلى :

١ - أنه كان ثمت اتفاق من الصحابة على الاحتياط للرواية ، وشدة التحرى فيها ، وأن هذا الاحتياط قد يزداد الى درجة التوعد والتهديد ، حتى يستبين صدق الرواية .

٢ - أن هذه المواقف لم تكن تعنى اتهام بعض الصحابة للبعض الآخر وانما كان القصد منها : التثبت والتحوط .

٣ - مع هذا فان هذه الاختبارات لم تسفر عن سقوط أى من الصحابة الرواة فى مهواة الكذب ، أو التقول على الرسول ﷺ ، ولعل هذا كان من أساس الحكم العام بعدالة الصحابة جميعا .

٤ - لم يكن بعض الصحابة يرى بأسا فى الاعتراف بالسبب الذى من أجله خفى عليه بعض المروى عن النبى ﷺ كالاشتغال بالتجارة ونحوها .

٥ - كان الحامل على هذا التثبت كذلك انقطاع الوحى ، وارتداد البعض ، وظهور النفاق ، فكان معنى الاقلال من الرواية ، والدقة فى قبول الخبر هو اعلان المواجهة ، واشهار المعارضة بازاء كل من تسول له نفسه أن يتزيد على الاسلام ، أو يتقول على الرسول مالم يقله ، وكأن شعار الصحابة آنئذ : ان فى العرين أسودا !!

٦ - ان من الصحابة من كانت تتصارع فى نفسه عوامل نشر الحديث مع التخوف من تغيير لفظ بدل لفظ آخر ، أو حرف مكان حرف آخر مع الحرص على عدم تغيير المعنى .

ومع هذا وذاك فكان يقل من الرواية ، وقد يمتنع عنها حينا ، وقد تدعو دواع تحتم الرواية ، وتستلزم الأمانة العلمية .

٧ - إن هذا التحوط فى الرواية لم يكن بالنسبة لجميع الصحابة ، وانما كان فيمن عدا من بلغ الدرجة العليا كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى .

٨ - إن كثيرا ممن كان يتصدى للرواية من الصحابة كان يشفع تحديثه عن الرسول ﷺ بقوله : «أو كما قال» ونحو ذلك حتى لايتورط أن يقول على الرسول مالم يقل ، ولو كان ذلك فى اللفظ ، أو دون قصد .

٩ - إن البعض من الصحابة ربما حدث أول حياته ، ابان قوة الذاكرة ، ووعى الحفظ ، فأما حين يكبر ، ويخشى أن تخونه الذاكرة ، فانه يمتنع حينئذ عن الرواية والتحديث .

١٠ - إن البعض من الصحابة ربما حمله الاشفاق من التغيير الذى أشرنا اليه آنفا على الامتناع عن التحديث بمرة .

١١ - إن البعض من الصحابة قرر الامتناع عن التحديث - عندما ألفى ان الرواية قد أقحم كل فيها نفسه : من تتوافر فيه شروطها ومن لاتتوافر .

١٢ - إن هذا التدقيق فى الرواية ، وأن هذا الاشتراط فى قبول الخبر لم ينفرد به الرجل وحده ، وانما أسهمت فيه المرأة بأوفى نصيب .

١٣ - إن هذا المنهج فى الدقة والتحرى والاقلال من الرواية لم يكن يعنى الامتناع المطلق عن الرواية ، ولم يكن يعنى الامتناع الدائم ، وانما كان هذا أمرا مرحليا اقتضته دواعى الحرص على ان لايدخل الاسلام ماليس منه ، كما اقتضته دواعى المواجهة للنفاق

حتى يستتب الأمر فى وجه كل الحركات المناهضة للاسلام والمسلمين .

١٤ - أنه حين استتب الأمر ، واحتيج الى علم كل منهم ، أو حين كان يجد الراوى من الصحابة أنه سيكون مقصرا فى تبليغ الحديث فما كان ليكتم العلم ، ولو أدى ذلك الى الاكثار من الرواية .

قال ابن حجر[1] :

« وأما من اكثر من الصحابة فى الرواية فمحمول على أنهم كانوا واثقين من أنفسهم بالتثبت ، أو طالت أعمارهم فاحتيج الى ماعندهم ، فسئلوا ، فلم يمكنهم الكتمان رضى الله عنهم » .

* * *

(١) فى الفتح ١٧٩/١ .

- التثبت فى الرواية كان هو الغاية
- شيوع الرواية فى عهد الصحابة .
- موانع التدوين كموانع الرواية فى عهد الصحابة
- تقويم موقف عمر من تدوين السنة
- استمرار كتابة الحديث فى القرن الأول
- من كتّاب التابعين
- عوامل حفظ السنة عدا الكتابة
- أسباب التدوين فى القرن الثانى
- التدوين فى القرنين الثانى والثالث



التثبت فى الرواية كان هو الغاية

* واذن فنحن نستطيع أن نقول : ان الاقلال من الرواية لم يكن غاية فى ذاته ، وانما كان وسيلة يمنع بها أن يقال على الرسول ﷺ مالم يقله ، كما كان الاقلال من الرواية حجابا حاجزا فى مواجهة ذوى الاغراض الخبيثة ، والأحقاد الدفينة ، بالنسبة للاسلام ونبيه ، بدليل ان النبى ﷺ وصحابته لم ينهوا عن الرواية ذاتها ، وإنما كان النهى عن التقول والتغيير . فلم يقل النبى ﷺ : من روى عنى حديثا ... الخ وانما قال : من قال على مالم أقل ... ونحو ذلك .

وهذا أمر يتأكد بمايلى :

١ - أن النبى ﷺ كان يأمر بتبليغ الحديث ، فى الوقت الذى يحذر فيه من الكذب عليه ، ويوعد عليه أشد الوعيد ، وفى حديث واحد يقول النبى ﷺ :

« بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بنى اسرائيل ولاحرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»[١] .

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء : باب ماذكر عن بنى اسرائيل ٣٦١/٦ ، والترمذى فى جامعه : كتاب العلم : باب ماجاء فى الحديث عن بنى اسرائيل ٤٠/٥ ، وقد عقب عليه بقوله : هذا حديث حسن صحيح ، وأحمد فى المسند ٢٥٠/٩ - ٢٥١، و ١٢٧/١١ (المعارف) .

وابن ابى حاتم فى الجرح والتعديل ٧/١/١ ، والقاضى عياض فى الالماع ص ١١٩ وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ٤٠/٢ ، والبغوى فى المصابيح أول كتاب العلم ١٥/١=

فالأمر بالتبليغ يقترن بالوعيد على الكذب ، وكأنه ﷺ يريد ليقول : بلغوا عنى بشرط أن لاتكذبوا على ، بلغوا ولو كان ماتبلغونه شيئا قليلا كالآية والآيتين ، والحديث والحديثين .

ولعل الحكمة فى اقتران الأمر بالتبليغ عن النبى ﷺ بالأمر بالتحدث والنقل عن بنى اسرائيل أن بين الأمرين تشابها ، فقد كان الاكثار من الرواية عن الرسول ﷺ ممنوعا ، كما كان الحديث عن بنى إسرائيل ممنوعا كذلك . ثم أبيح التحديث والنقل عن بنى اسرائيل وذلك بعد أن استقر الاسلام واستتب الأمر له .

قال ابن حجر - تعليقا على الحديث - «أى لا ضيق عليكم فى الحديث عنهم ، لأنه كان قد تقدم منه ﷺ الزجر عن الأخذ عنهم والنظر فى كتبهم ثم حصل التوسع فى ذلك ، وكان النهى وقع قبل استقرار الأحكام الاسلامية ، والقواعد الدينية ، خشية الفتنة ، ثم لما زال المحذور وقع الاذن فى ذلك ، لما فى سماع الأخبار التى كانت فى زمانهم من الاعتبار» .

وهذا الذى قلناه يتضح ويتأيد بمثل قوله ﷺ « إياكم وكثرة الحديث عنى ، فمن قال على فليقل حقا أو صدقا ، ومن تقول على مالم أقل فليتبوأ مقعده من النار »[1] .

= والشافعى فى الرسالة صـ ٣٩٧ - ٣٩٨ وأبو داود فى كتاب العلم باب الحديث عن بنى اسرائيل ٤٣٨/٣ .

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ١١٢/١ وصححه وأقره الذهبى على شرط مسلم من حديث أبى قتادة مرفوعا ، وهو عند ابن ماجه ١٤/١ .

الأمر الثانى الذى يدل على أن التثبت كان هو الهدف : أن الصحابة الذين اشتهر عنهم دقة التحرى فى الرواية ، وشدة التضييق فى أمرها ، قد قاموا - هم - بدورهم فى الرواية والحديث عن رسول الله ﷺ .

وهذا أمر له دلالته البالغة ، ومغزاه البعيد .

ان المنع من الرواية - اذن - لم يكن مستهدفا لذاته .

بل لما قد يكتنفها من احتمال الخطأ ، فحينما يستبعد هذا الاحتمال ، ويستيقن الراوى من صدق الرواية ، وضبط المروى ، يكون الأمر أمر نشر السنة ، وابلاغ مقالة النبى ﷺ وهو حينئذ واجب لايمترى فيه أحد ، بل هو تطبيق وممارسة للأوامر النبوية السالفة فى السماع منه ، والتبليغ عنه ، مادام قد أمن التغيير ، وانتفت تلك المحاذير .

* * *

فأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعائشة رضى الله عنهم أجمعين قد صحت عنهم الأحاديث الكثيرة فى كتب السنة الشهيرة ، كموطأ مالك ، ومسند الشافعى ، ومسند أحمد ، ومسند الحميدى ، وصحيحى البخارى ومسلم ، والسنن الأربعة ..الخ .

ويطول بنا المقام لو أردنا استقصاء الأمثلة مما روى عن هؤلاء الأعلام من الصحابة ، بيد أننا نكتفى بايراد بعض المروى فى صحيح مسلم عن أشدهم تضييقا فى الرواية : عمر .

وسنرى كيف تنوعت معه دوافع الرواية ، كما سنرى كيف تعددت مواقفه فيها بعد ذلك ، ومن ذلك مايلى :

روى مسلم[1] من حديث حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، عن أبيه ، عن جده عمر بن الخطاب ، قال : قال رسول الله ﷺ : «اذا قال المؤذن : ، الله أكبر ، الله أكبر ، فقال أحدكم : الله أكبر ، الله أكبر . ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله قال : أشهد أن لا إله لا الله . ثم قال : أشهد أن محمدا رسول الله ، قال : أشهد أن محمدا رسول الله . ثم قال : حى على الصلاة . قال : لاحول ولاقوة الا بالله . ثم قال : حى على الفلاح . قال : لاحول ولاقوة الا باالله . ثم قال : الله اكبر الله أكبر . قال : الله أكبر الله أكبر . ثم قال : لااله الا الله قال : لااله الا الله من قلبه – دخل الجنة » .

وهى رواية مطلقة – كما نرى – لايذكر فيها سبب ورودها ولايشار الى الدافع الى ايرادها الا أن يكون – فقط – تنفيذ الأمر بالابلاغ للمقالة النبوية ، وأداء الأمانة الدينية .

* * *

(١) أخرجه مسلم فى كتاب الصلاة : باب ماجاء فى استحباب القول مثل قول المؤذن ٢٨٩/١ .

* ومثلها ماروى مسلم من حديث عاصم بن عمر ، عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« اذا أقبل الليل وأدبر النهار ، وغابت الشمس فقد أفطر الصائم »[١] . ومن ذلك أيضا ماروى مسلم[٢] من حديث عبد الرحمن بن عبد القارى . قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : قال رسول الله ﷺ : «من نام عن حزبه ، أو عن شىء منه ، فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر . كتب له كأنما قرأه من الليل » .

* * *

عمر يروى لينهى عن المنكر :

* وروى مسلم[٣] من حديث ابن عباس ، قال : بلغ عمر أن سمرة باع خمرا . فقال : قاتل الله سمرة .. ألم يعلم أن رسول الله

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب الصيام : باب بيان وقت انقضاء الصوم وخروج النهار ٧٧٢/٢ .

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها : باب جامع صلاة الليل ، ومن نام عنه أو مرض ٥١٥/١ .

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب المساقاة : باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام ١٢٠٧/٣ .

ﷺ قال : «لعن الله اليهود . حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها »[١] .

وهى رواية يذكر معها سبب ايرادها ، وهو كما نرى نهوض عمر لتصحيح خطأ وقع فيه سمرة ولو تأولا ، فقد ظن أن المحرم فى الخمر شربها فقط ، فاضطر عمر الى إبانة أن البيع للخمر أيضا حرام ، وذلك بايراد هذا الحديث الذى يعيب فيه الرسول ﷺ على اليهود تحايلهم على الافادة من الشحوم حيث حرم عليهم أكلها ، فتصورا أن اذابة الشحم تسوغ لهم بيعه ، وحادوا بهذا عن الصواب ، واستحقوا اللعنة فبيع الخمر حرام كشربه ، واذابة الشحم وبيعه حرام كأكله .

* * *

ووجه تشبيه عمر بيع المسلمين الخمر ببيع اليهود المذاب من الشحم الاشتراك فى النهى عن تناول كل منهما .

اذ كل ماحرم تناوله حرم بيعه[٢] .

* * *

(١) يقال أجمل الشحم وجمله : أذابه واستخرج دهنه وجملت أفصح من أجملت النهاية ٢٩٨/١ .

(٢) فى الحديث ، كما ذكر ابن حجر فى الفتح (٣٢٩/٤) :

● لعن العاصى المعين ، ولكن يحتمل ان يقال أن قول عمر : «قاتل الله سمرة» لم يرد به ظاهره بل هى كلمة تقولها العرب عند ارادة الزجر فقالها فى حقه ، تغليظا عليه «=

* ومن ذلك ماروى مسلم[١] من حديث معدان بن أبى طلحة ، أن عمر بن الخطاب خطب يوم الجمعة . فذكر نبى الله ﷺ وذكر أبا بكر .. الى أن قال : ثم انكم أيها الناس ، تأكلون شجرتين لأأراهما الا خبيثتين : هذا البصل والثوم ، لقد رأيت رسول الله ﷺ اذا وجد ريحهما من الرجل فى المسجد ، أمر به فأخرج الى البقيع ، فمن أكلهما فليمتهما طبخا .

* ومن ذلك أيضا ماروى مسلم[٢] من حديث أبى صالح عن ابن عمر ، قال : لما طعن عمر أغمى عليه . فصيح عليه . فلما أفاق قال : أما علمتم أن رسول الله ﷺ قال : « ان الميت ليعذب ببكاء الحى » ؟!

* * *

= ● وفيه اقالة ذوى الهيئات زلاتهم ، لأن عمر اكتفى بتلك الكلمة عن مزيد عقوبة ونحوها .

● وفيه ابطال الحيل والوسائل الى المحرم .

● وفيه تحريم بيع الخمر ، وقد نقل ابن المنذر وغيره فى ذلك الاجماع ، وشذ من قال : يجوز بيعها ، ويجوز بيع العنقود المستحيل باطنه خمرا . واختلف فى علة ذلك فقيل لنجاستها ، وقيل لانه ليس فيها منفعة مباحة مقصورة ، وقيل للمبالغة فى التنفير عنها وفيه أن الشىء اذا حرم عينه حرم ثمنه .

(١) أخرجه مسلم فى كتاب المساجد ومواضع الصلاة : باب نهى من أكل ثوما أو بصلا أو كراثا او نحوها ٣٩٦/١ .

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب الجنائز : باب الميت يعذب ببكاء اهله عليه ٦٣٩/٢ .

عمر يروى ليرشد الى الأفضل :

* روى مسلم[١] من حديث أبى هريرة قال : بينما عمر بن الخطاب يخطب الناس يوم الجمعة اذ دخل عثمان بن عفان . فعرض به عمر . يقال : مابال رجال يتأخرون بعد النداء ؟ فقال عثمان : ياأمير المؤمنين .. مازدت حين سمعت النداء أن توضأت . ثم أقبلت فقال عمر : والوضوء أيضا ! الم تسمعوا رسول الله ﷺ يقول : « اذا جاء أحدكم الى الجمعة فليغتسل » .

* * *

عمر يروى لتصويب خطأ :

وقد يحتم الرواية على عمر قيامه بواجب تصويب الخطأ فى تفسير آية ، لئلا يظل المخطىء على خطئه من جهة ، ولئلا يستتبع ذلك خطأ فى التطبيق من جهة أخرى .

* فقد روى مسلم[٢] من حديث يعلى بن أمية ، قال : قلت لعمر بن الخطاب : ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾[٣] **فقد أمن الناس ؟! فقال :**

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب الجمعة : باب وجوب غسل الجمعة على كل بالغ من الرجال . وبيان ماأمروا به ٢/٥٨٠ .

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها : باب صلاة المسافرين وقصرها ٤٧٨/١ .

(٣) سورة النساء : ١٠١ بلفظ « فليس » ...

عجبت ماعجبت منه . فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك . فقال « صدقة تصدق الله بها عليكم . فاقبلوا صدقته »

* * *

شيوع الرواية فى عهد الصحابة

* ولا أدل على شيوع الرواية فى عهد الصحابة – فى ذلك الاطار من التثبت والتحوط – من هذا الذى يروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، فقد روى مسلم[1] من حديث أبى العالية عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت غير واحد من أصحاب رسول الله ﷺ منهم عمر بن الخطاب – وكان أحبهم الى – أن رسول الله ﷺ نهى عن الصلاة بعد الفجر ، حتى تطلع الشمس ، وبعد العصر ، حتى تغرب الشمس .

وهذا يدل دلالة واضحة على أن أمر الرواية لم يكن يتجاوز التثبت الى الامتناع المطلق عنها ، اذ لامفر من بيان القرآن بالسنة بل لامعدى عن التعرف الى الأحكام التى تستقل بها السنة ، ويتحتم العمل بها والتطبيق لها كالأحكام المستفادة من هذا الحديث .

* * *

(١) أخرجه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها : باب الأوقات التى نهى عن الصلاة فيها ٥٦٧/١ .

وحسبنا هذه الأمثلة ، فما نريد أن نستوعب وانما نريد أن نقيم الدليل على مايلى :

* ان التضييق فى الرواية لم يكن القصد منه اقفال باب الرواية على رسول الله ﷺ ، ووقف العمل بالسنة وانما كان القصد منه : التوقى عن الكذب على رسول الله ، والتثبت فى الرواية عنه ، والمواجهة العلمية لمن تسول له نفسه من أعداء الاسلام أن يزيف الحق ، أو يقول على الرسول ﷺ مالم يقله ، وقد قال تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ﴾[1]

كما قال ﷺ : « يكون فى آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولاآباؤكم ، فاياكم واياهم لايضلونكم ، ولايفتنونكم »[2] .

* ان الأحاديث الصحيحة متصلة الاسناد الى رسول الله ﷺ ، ومعنى هذا أن الصحابة – وهم الطبقة الذين تلقوا السنة عن الرسول – قاموا بدورهم فأبلغوها للتابعين من بعدهم . وهؤلاء رووها لأتباع التابعين ، وأنها ظلت تروى الى الناس جيلا بعد جيل ، وطبقة بعد طبقة إلى يومنا هذا .

---

(١) سورة الحجرات : ٦

(٢) صحيح مسلم : المقدمة : باب النهى عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط فى تحملها ١٢/١ .

* إن الرواية فى عصر الصحابة لم تتوقف ، وأن من كان يضيق على غيره فيها كان يقبل رواية هذا الغير عندما يتثبت منها .

* إن من كان مضيقا فى الرواية : قد قام بدوره .لواجب فى نشر السنة ، وتبليغ الحديث ، سواء أكان ذلك بدافع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أم كان لتصويب بعض الأخطاء فى الفهم للسنة والتطبيق لها .

* إن الاقلال من الرواية لم يكن دائما ، ولاعاما ، وأن الاكثار لم يكن مايمنع منه لدى بعض الصحابة ، عند انتفاء الموانع ، وتحقق التثبت .

* * *

موانع التدوين كموانع الرواية
فى عهد الصحابة

ونستطيع أن نستبين من هذا محمل المنع من التدوين ، أو من الاقلال منه فى عهد الصحابة ، مضافا اليه الاشفاق من أن يتشاغلوا بالسنة وبكتبها عن كتاب الله ، مع الاعتماد على الحفظ والضبط والاتقان ، وهذا مايدل عليه ماروى عن عروة بن الزبير : أن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أراد أن يكتب السنة فاستفتى أصحاب النبى ﷺ فى ذلك ، فأشاروا عليه أن يكتبها ، فطفق عمر يستخير الله فيها شهرا ، ثم أصبح يوما وقد عزم الله له ، فقال : « إنى كنت أردت أن أكتب السنن وانى ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا فأكبوا عليها ، وتركوا كتاب الله تعالى وانى - والله - لأأشوب كتاب الله بشىء أبدا » .

* * *

تقويم موقف عمر من تدوين السنة :

ان تدوين عمر للسنة - لو تم - تدوين رسمى تقوم به الدولة ، وهو حرى أن تلتفت اليه الأنظار ، وتشخص نحوه الأبصار ، فربما جعلته شغلها الشاغل ، فعكفت عليه ، وتركت كتاب الله .

هكذا كان تصور عمر رضى الله عنه؟! بل هكذا كان اشفاقه من تدوين السنة ومن آثار هذا التدوين ؟!

ولقد مثل هذا الاشفاق حاجزا دون تدوين السنة فى مصنف جامع أو فى كتاب شامل لكل المرويات فى صدور الحفظة ، أو فى سطور الكاتبين .

ولقد يقال : أليس فى هذا مبالغة من عمر ؟ .
بيد أنه يمكن أن يقال كذلك : أن الشاهد يرى مالايرى الغائب .

وعلى أية حال ، فان المانع من التدوين الرسمى لم يمنع من استمرار التدوين الشخصى – طيلة القرن الأول حتى تم التدوين الرسمى أوائل القرن الثانى عند زوال الموانع ، ووجود الدوافع .

كما أن المانع من التدوين لم يكن مانعا ذاتيا ، بدليل أن جمهور الصحابة قد أشار على عمر بوجوب التدوين ، وانما كان المنع لما قد ينشأ عن التدوين من محاذير أشفق عمر منها ، وأقنع الصحابة بها ، بحيث لو لم تكن هذه المحاذير لاقتنع عمر بوجوب التدوين ، وبحيث لو زالت تلك المحاذير لوجب البدء فى التدوين كما حدث فى عهد عمر بن عبد العزيز .

* * *

استمرار كتابة الحديث فى القرن الأول :

ان الصحابة الذين دونوا السنة ، وقيدوا العلم ، لم يحتجزوه لأنفسهم وانما بذلوه لمن طلب اليهم بذله ، ورووه لمن تلمذ لهم من بنيهم وتابعيهم ، وكانت كتابتهم تمثل الحلقة الأولى فى كتابة السنة ، وتأثرت بهم الطبقة التالية لهم من التابعين ، فى التدوين الخاص ، والكتابة الشخصية فتضافر على حفظ السنة - دائما - صدور الحفظة مع سطور الكتبة ، حتى صنفت الجوامع والمسانيد والسنن ، وأشرفت الدولة على هذا التدوين .

* * *

من كتاب التابعين :

ولقد نوه أستاذنا الجليل « السيد أحمد صقر »[١] بهذه الظاهرة الخاصة بتدوين الحديث على عهد النبى ﷺ ، ثم بين يدى الصحابة والتابعين ، وعنى عناية فائقة بالبحث والتنقيب عن كتاب الصحابة والتابعين وركز بصفة خاصة على ماكتبه ، ودونه كل منهم ، كما ذكر بشأن عبد الله بن عمر[٢] ، وجابر بن عبد الله[٣] ، وسمرة بن جندب[٤] ، وأبى هريرة[٥] ، وعلى بن أبى

---

(١) فى كتابه المدخل الى فتح البارى .

(٢) صفحة ٨ - ١٠ . (٣) صفحة ١٠ - ١١

(٤) صفحة ١١ (٥) صفحة ١١ - ١٤

طالب[١] ، وعبد الله بن أبى أوفى[٢] ، وأبى رافع[٣] ، وأبى ريحانة[٤] ، وأنس بن مالك[٥] .. الخ .

واستخلص من هذا وذاك أنه كان للسنة كتابها وناسخوها فى عهد الصحابة ، ثم خلص الى أن أمر الكتابة قد استمر فى عهد التابعين وذكر من كتاب التابعين :

١ — مجاهد بن جبر المتوفى سنة ١٠٣ .
وقد ذكر أنه كان يخرج كتبه لتلاميذه فينسخونها ويروونها .

٢ — أبو الزبير المكى المتوفى سنة ١٢٦ .
وكانت له مرويات صحيحة عن جابر ، دفع منها كتابين إلى الليث .

٣ — خالد بن معدان الكلاعى المتوفى سنة ١٠٣ .
كانت مروياته فى مصحف له أزرار وعرى .

٤ — مقسم بن بكرة المتوفى سنة ١٠١ .
أحد الرواة عن ابن عباس ، وكان حديثه مدونا فى كتاب حدث منه الحكم بن عيينة .

٥ — أبو داود : عبد الرحمن بن هرمز المدنى المعروف بالأعرج المتوفى سنة ١١٧ .

---

(١) صفحة ١٤ -١٥ (٢) صفحة ١٥ .
(٣) صفحة ١٥ - ١٦ (٤) صفحة ١٦ - ١٧ .
(٥) صفحة ١٧ .

كتب عن أبى هريرة كتابا اشتهر باسم الصحيفة ، وتتابعت روايته ، من أبى الزناد - أشهر الرواة عن الأعرج ، الى أن رواها أحمد بن صالح المصرى المتوفى سنة ٢٤٨ .

٦ - أبو جعفر الباقر : محمد بن على بن الحسين بن على بن طالب المتوفى سنة ١١٤ . وقد ألف فى مروياته « كتبا » وهو من الرواة عن سمرة بن جندب ، وابن عباس ، وعبيد الله بن أبى رافع .

ومن الرواة عنه : الزهرى ، والأوزاعى ، وابن جريج ، وابنه جعفر بن محمد المتوفى سنة ١٤٨ الذى آلت اليه كتبه ، ورواها عنه وجادة .

٧ - محمد بن شهاب الزهرى المتوفى سنة ١٢٤ .

ذكر أنه دون من السنة مالم يدون أحد قبله .

وأن عمله فى قصر هشام بالرصافة كان سببا فى عناية طائفة كبيرة من كتاب الدولة بكتابة الحديث على نحو فائق ممتاز .

وأن من الرواة المكثرين عن الزهرى : شعيب بن أبى حمزة المتوفى عام ١٦٢ .

وكان من كتاب هشام الذين تولوا الكتابة عن الزهرى بأمره ، وكان عنده عن الزهرى ألف وسبعمائة حديث .

ثم روى قول أبى اليمان : دخلنا على شعيب حين حضرته

الوفاة ، فقال : هذه كتبى وقد صححتها ، فمن أراد أن يأخذها منى فليأخذها ، ومن أراد أن يعرض فليعرض ، ومن أراد أن يسمعها من ابنى ، فانه قد سمعها منى .

وقد أخرج البخارى نسخة شعيب عن الزهرى ، كلها من طريق ابى اليمان ، عن شعيب .

ثم ذكر أن من الرواة عن الزهرى : معمر بن راشد المتوفى سنة ١٥٣ ، وأشهر كتبه : « الجامع » وأنه أقدم كتاب وصل الينا من كتب القرن الثانى فى الحديث الشريف .

وأثبت أصحاب الزهرى مالك بن أنس وكتابه : « الموطأ » أشهر من أن يعرف ... الخ »[1] .

* * *

---

(١) المدخل الى فتح البارى ص ١٧ - ٢١ باختصار وتصرف .

عوامل حفظ السنة
عدا الكتابة

ولئن كان ذلك كذلك فلقد تضمن الله حفظ سنة نبيه ، وصون بيان وحيه وهديه ، بعوامل أخرى عديدة منها مايلى :

١ - ان الصحابة رضوان الله عليهم - وجمهورهم عرب قد وهبهم الله من قوة الذاكرة ، وقدرة الحافظة - مالم يهب غيرهم ، الأمر الذى جعل صدورهم - على مر الزمان - أوعية للشعر والأدب . وسجلا للتاريخ والنسب ، فما ان شرح الله صدورهم هذه للاسلام حتى كانت أسرع فهما ، وأتم ضبطا ، وأقوى حفظا ، وأكثر وعيا .

ذلك أنهم - آنئذ - لم يكونوا يسجلون شيئا عاديا ، ولايحفظون أمرا تاريخيا : لقد كانوا بين يدى وحى السماء وهدايته ، وبين يدى سيرة الرسول وسنته ، الذى ألزمهم الله طاعته وأسوته ومن هنا كانوا يتبادرون الى تسجيل كل أقواله ﷺ وأفعاله وأحواله ، كما كانوا يتبادرون الى استعمال كل وسيلة فى هذا التسجيل : كتابة وتدوينا ، وسماعا وتلقينا .

يدفعهم الى ذلك عمق محبتهم للرسول ﷺ ، وصدق ايمانهم بالدين الجديد .

٢ - وأمر ثان ، فهذا الصدق فى الإيمان ، وهذا العمق فى المحبة للرسول ﷺ لم يكن يدفعهم الى التسجيل القولى بالحفظ أو بالكتابة فحسب ، وانما كان يدفعهم - كذلك - إلى التسجيل العملى فكانوا يسارعون الى العمل بالكتاب والسنة ، ثم يوصون غيرهم من بنيهم وذويهم بوجوب العلم بالسنة ، والعمل بها فكان العمل بالسنة والتواصى بالعمل بها دعامة من دعائم حفظها طبقة بعد طبقة وجيلا بعد جيل .

ولقد كان عمل أهل المدينة أساسا - فى مذهب مالك - يحتج به ، ويقاس عليه ، ويقام عليه بناء الأحكام فى فروع فقهية عديدة .

٣ - ثم كان من عوامل حفظ السنة ما امتاز به النبى ﷺ فى تعبيره من ناحية ، وفى طريقة تربيته وتعليمه من جهة أخرى .

أما تعبيره فقد كان قمة البيان البشرى : فصاحة أسلوب ، وبلاغة تعبير ، ونصاعة تفكير ، فضلا عما اختص به مما حدث عنه صلوات الله وسلامه عليه فى قوله : « أعطيت جوامع الكلم واختصرت الكلام اختصارا »[١] .

وأما طريقة تربيته وتعليمه فقد كان واضح المنطق ، رتيب الآداء

(١) أخرجه أبو يعلى فى مسنده من حديث عمر .

يحدث حديثا لو أراد العادّ أن يعده لعده ، ويعيد الكلمة ثلاثا لتفهم منه ، وتعقل عنه .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه « كان اذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم ، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثا »[1] .

ومن ذلك قوله عليه السلام فى حجة الوداع : « ألا هل بلغت .. « ثلاثا »[2] .

وقد يقتضى المقام التكرار أكثر من ثلاث . كما فى حديث أبى بكرة رضى الله عنه مرفوعا : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر .. ثلاثا .. الحديث . وفيه . ألا وقول الزور .. فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت »[3] .

٤ - كما كان من عوامل حفظ السنة وسلامتها : حرص الصحابة على مذاكرة السنة ، ومراجعتها ، وتذكير من قد عسى

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب العلم : باب من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه ١٦٩/١ .

وفيما يتعلق بالسلام قال الاسماعيلى : يشبه أن يكون ذلك كان اذا سلم سلام استئذان على مارواه أبو موسى الأشعرى وغيره ، واما أن يمر المار مسلما فالمعروف عدم التكرار .

(٢) البخارى أول كتاب العلم ١٦٩/١ .

(٣) البخارى فى الموضع السابق ١٦٩/١ .

أن يكون قد نسى فى الحديث المروى شيئا ، سواء أكان ذلك على عهد النبى ﷺ حيث يكون التراجع اليه ، أم بعد عهده صلى الله عليه وسلم ، حيث يكون التحاكم إلى الأكثر حفظا ، والأتم ضبطا .

وبهذا وذاك يكون قد تضافر على حفظ السنة كل عوامل الحفظ سواء من ناحية الكتابة أو الحفظ ، أو التطبيق والممارسة ، أو النقاش والمدارسة ، أو المنهج العلمى والتربوى الذى كان ينهجه ﷺ فى تعليم العلم ومدارسة السنة .

ولقد ظل هذا هو شأن المحافظة على السنة ، والأداء لها إلى أن انتهى القرن الأول .

أسباب التدوين فى القرن الثانى

وبانتهاء القرن الأول كان الطريق ممهدا لتطوير التدوين للسنة النبوية ، وذلك لمايلى :

١ - زوال الخوف من أن يلتبس القرآن بالسنة ، سيما بعد أن كتبت المصاحف على عهد عثمان ، وأرسلت الى الآفاق والأمصار .

٢ - امتداد الفتوحات ، وكثرة اختلاط العرب والعجم ، وقد نشأ عن هذا أمران : الأول : سعة معرفة العرب بأسباب الحضارة ، وتنوع أنماط المعرفة والثقافة ، وتوفر وسائل الكتابة ، وازدياد عدد الكتاب .

والثانى : شدة الحرص على السنة ، والعمل على أن تحاط بسياج من الحصانة ، يوفر لها الحماية من الزيف والتغيير .

٣ - ظهور الحركات المضادة لمسيرة الاسلام منذ عهد عثمان وعلى كحركات الشيعة والخوارج ، وما صاحب كل فرقة من اتجاه محموم للانقضاض على الاسلام وأهله .

* * *

ولقد أدى ظهور هذه الحركات الى احداث الفرقة فى صفوف

المسلمين ، كما أدى الى وضع الأحاديث التى تدعم رأى كل فريق وتقوى حزبه ، وتؤارز فكره .

ومن هنا كانت الحاجة ماسة الى أمرين :

الأول : تدوين المروى عن رسول الله ﷺ تدوينا رسميا وعاما ، بحيث يكون الرجوع اليه ، والصدور عنه .

وهذا ماأسس لعلم الحديث رواية ، وهو الخاص بنقل ماأضيف الى النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف - على ماسيأتى .

والثانى : نقد الرواية ، وتحقيق صحة السنة ، وتمييز المقبول من غير المقبول ، وذلك ماأسس لعلم الحديث دراية وهو الخاص بالقواعد والقوانين التى يعرف بها أحوال السند والمتن لتمييز المقبول من غيره .

وهنا يحسن بنا أن نلم إلمامة سريعة بتدوين الحديث فى القرن الثانى حيث كان التدوين للحديث مختلطا بأقوال الصحابة والتابعين ، وفى القرن الثالث حيث بدأ التدوين يأخذ طابع افراد الصحيح كما فى البخارى ومسلم بخاصة ، وافراد الحديث عن أقوال الصحابة وفتاوى التابعين كما فى الكتب الستة بعامة .

* * *

لمحة عابرة عن التدوين فى القرنين الثانى والثالث

يقول ابن حجر[١] :

اعلم - علمنى الله واياك - أن آثار النبى ﷺ لم تكن فى عصر أصحابه وكبار من تبعهم مدونة فى الجوامع ولا مرتبة ، لأمرين :

أحدهما : أنهم كانوا فى ابتداء الحال قد نهوا عن ذلك كما ثبت فى صحيح مسلم ، خشية أن يختلط بعض ذلك بالقرآن العظيم .

وثانيهما : لسعة حفظهم وسيلان أذهانهم ، ولأن أكثرهم كانوا لا يعرفون الكتابة ، ثم حدث فى أواخر عصر التابعين تدوين الآثار وتبويب الأخبار ، لما انتشر العلماء فى الأمصار ، وكثر الابتداع عن الخوارج والروافض ومنكرى الأقدار .

فأول من جمع ذلك الربيع بن صبح[٢] ، وسعيد بن أبى

---

(١) فى مقدمة فتح البارى ص ٤ - ٥ .

(٢) يستظهر الكثير من العلماء أن يكون ابن شهاب الزهرى أسبق من دون الحديث التدوين الرسمى ، على أساس ماروى البخارى فى كتاب العلم : باب كيف يقبض العلم ١٧٤/١ أن عمر بن عبد العزيز كتب الى ابى بكر بن حزم : « انظر ماكان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه ، فانى خفت دروس العلم ، وذهاب العلماء ، ولايقبل الا حديث =

عروبة ، وغيرهما وكانوا يصنفون كل باب على حدة الى أن قام كبار أهل الطبقة الثالثة فدونوا الأحكام .

فصنف الامام مالك الموطأ وتوخى فيه القوى من حديث أهل الحجاز ومزجه بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ومن بعدهم .

وصنف أبو محمد : عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج بمكة وأبو عمرو عبد الرحمن بن عمر الأوزاعى بالشام ، وأبو عبد الله : سفيان بن سعيد الثورى بالكوفة ، وأبو سلمة : حماد بن سلمة بن دينار بالبصرة .

ثم تلاهم كثير من أهل عصرهم فى النسج على منوالهم إلى أن

= النبى ﷺ ، وليفشوا العلم ، وليجلسوا حتى يعلم من لايعلم ، فان العلم لايهلك حتى يكون سرا .

قال ابن حجر : يستفاد منه ابتداء تدوين الحديث النبوى ، وكانوا قبل ذلك يعتمدون على الحفظ ، فلما خاف عمر بن عبد العزيز - وكان على رأس المائة الأولى - من ذهاب العلم بموت العلماء رأى أن فى تدوينه ضبطا له وابقاء .

ثم ذكر ايراد أبى نعيم فى تاريخ أصبهان هذه القصة بلفظ : « كتب عمر بن عبد العزيز الى الآفاق : انظروا حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه » الفتح ١٧٤/١ .

وفى باب كتابة العلم (١٨٥/١) قال ابن حجر : قال العلماء : كره جماعة من الصحابة والتابعين كتابة الحديث ، واستحبوا أن يؤخذ عنهم حفظا ، كما أخذوا حفظا ، لكن لما قصرت الهمم ، وخشى الأئمة ضياع العلم دونوه ، وأول من دون الحديث ابن شهاب الزهرى على رأس المائة بأمر عمر بن عبد العزيز ، ثم كثر التدوين ، ثم التصنيف ، وحصل بذلك خير كثير فلله الحمد .

رأى بعض الأئمة منهم أن يفرد حديث النبى ﷺ خاصة ، وذلك على رأس المائتين فصنف عبيد الله بن موسى العبسى الكوفى مسندا .

وصنف مسدد بن مسرهد البصرى مسندا .

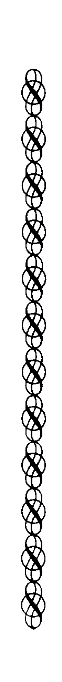
وصنف أسد بن موسى مسندا .

وصنف نعيم بن حماد الخزاعى نزيل مصر مسندا .

ثم اقتفى الأئمة بعد ذلك آثرهم فقل امام من الحفاظ الا وصنف حديثه عن المسانيد كالامام أحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه ، وعثمان بن أبى شيبة ، وغيرهم من النبلاء .

ومنهم من صنف على الأبواب ، وعلى المسانيد كأبى بكر بن أبى شيبة .

فلما رأى البخارى رضى الله عنه هذه التصانيف ورواها ، وانتشق رياها واستجلى محياها ، وجدها بحسب الوضع جامعة بين مايدخل تحت التصحيح والتحسين ، والكثير منها يشمله التضعيف فلا يقال لغثه سمين ، فحرك همته لجمع الحديث الصحيح الذى لا يرتاب فيه أمين ، وقوى عزمه على ذلك ما سمعه من أستاذه أمير المؤمنين فى الحديث والفقه اسحق بن ابراهيم الحنظلى المعروف بابن راهويه » .



- ماهية علم الحديث
  رواية ودراية وموضوعه وغايته
- المقصود من علم الحديث
- حد المسند والمحدث والحافظ
- الامام أبو عبد الله البخارى
- الامام مسلم
- مقارنة بين صحيحى البخارى ومسلم
- أبو داود
- الترمذى
- ابن ماجه القزوينى
- النسائى



ماهية علم الحديث

رواية ، دراية ، وموضوعه وغايته

قال عز الدين بن جماعة : « علم الحديث : علم بقوانين يعرف بها أحوال السند والمتن وموضوعه : السند والمتن وغايته : معرفة الصحيح من غيره » .

وقال ابن الأكفانى : « علم الحديث الخاص بالرواية علم يشتمل على نقل أقوال النبى ﷺ وأفعاله وروايتها وضبطها وتحرير ألفاظها . وعلم الحديث الخاص بالدراية علم يعرف منه حقيقة الرواية وشروطها وأنواعها ، وأحكامها ، وحال الرواة وشروطهم ، وأصناف المرويات ومايتعلق بها » .

قال السيوطى : « فحقيقة الرواية نقل السنة ونحوها واسناد ذلك الى من عزى اليه بتحديث واخبار وغير ذلك ، وشروطها : تحمل راويها لما يرويه بنوع من أنواع التحمل ، من سماع أو عرض أو اجازة ونحوها وأنواعها : الاتصال ، والانقطاع ، ونحوهما ، وأحكامها : القبول ، والرد ، وحال الرواة : العدالة والجرح ، وشروطهم فى التحمل وفى الأداء سيأتى نبذة منه ، وأصناف المرويات المصنفات من المسانيد والمعاجم والأجزاء وغيرها أحاديث وآثارا وغيرهما ، وما يتعلق بها هو معرفة اصطلاح أهلها » .

* * *

المقصود من علم الحديث

قال الإمام النووى[1] : « ان المراد من علم الحديث تحقيق معانى المتون ، وتحقيق علم الاسناد والمعلل ، والعلة عبارة عن معنى فى الحديث خفى يقتضى ضعف الحديث مع أن ظاهره السلامة منها ، وتكون العلة تارة فى المتن وتارة فى الاسناد وليس المراد من هذا العلم مجرد السماع ولا الاسماع ولا الكتابة بل الاعتناء بتحقيقه ، والبحث عن خفى معانى المتون والأسانيد والفكر فى ذلك ودوام الاعتناء به ومراجعة أهل المعرفة به ومراجعة كتب أهل التحقيق فيه وتقييد ماحصل من نفائسه وغيرها فيحفظها الطالب بقلبه ويقيدها بالكتابة ثم يديم مطالعة ماكتبه ، ويتحرى التحقيق فيما يكتبه ، ويتثبت فيه ، فانه فيما بعد ذلك يصير معتمدا عليه ، ويذاكر بمحفوظاته من ذلك من يشتغل بهذا الفن سواء كان مثله فى المرتبة أو فوقه أو تحته ، فان بالمذاكرة يثبت المحفوظ ويتحرر ، ويتأكد ويتقرر ، ويزداد بحسب كثرة المذاكر ، ومذاكرة حاذق فى الفن ساعة أنفع من المطالعة والحفظ ساعات ، بل أياما ، وليكن فى مذاكرته متحريا الانصاف ، قاصدا الاستفادة والافادة ، غير مترفع على صاحبه بقلبه ولابكلامه ولابغير ذلك من حاله ، مخاطبا له بالعبارة الجميلة اللينة ، فبهذا ينمو عمله ، وتزكو محفوظاته ، والله أعلم » .

---

(١) فى شرح خطبة مسلم .

حد المسند والمحدث والحافظ

قال القاسمي[1] :

كثيرا مايوجد فى الكتب تلقيب من يعانى الآثار بأحدها فيظن من لا وقوف له على مصطلح القوم ترادفها ، وجواز التلقيب بها مطلقا وليس كذلك .

بيانه : أن المسند (بكسر النون) هو من يروى الحديث باسناده سواء أكان عنده علم به أم ليس له الا مجرد روايته .

وأما المحدث فهو أرفع منه بحيث عرف الأسانيد والعلل ، وأسماء الرجال وأكثر من حفظ المتون وسماع الكتب الستة والمسانيد والمعاجم والأجزاء الحديثية ، وأما الحافظ ، فهو مرادف للمحدث عن السلف .

وقال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس : « المحدث فى عصرنا من اشتغل بالحديث رواية ودراية ، وجمع بين رواته واطلع على كثير من الرواة والروايات فى عصره - وتميز فى ذلك ، حتى عرف فيه حظه ، واشتهر فيه ضبطه ، فإن توسع فى ذلك حتى عرف شيوخه وشيوخ شيوخه طبقة بعد طبقة بحيث يكون مايعرفه من كل طبقة أكثر مما يجهله ، فهذا هو الحافظ وأما مايحكى عن بعض

(١) فى قواعد التحديث ص ٧٤ .

المتقدمين من قولهم : « كنا لانعد صاحب حديث من لم يكتب عشرين ألف حديث فى الإملاء فذلك بحسب أزمنتهم » .

وقال الامام أبو شامة : « علوم الحديث الآن ثلاثة :

أشرفها : حفظ متونه ، ومعرفة غريبها وفقهها . والثانى : حفظ أسانيدها ومعرفة رجالها ، وتميز صحيحها من سقيمها . والثالث : جمعه وكتابته وسماعه وتطريقه وطلب العلو فيه » .

قال الحافظ ابن حجر : « من جمع هذه الثلاث كان فقيها محدثا كاملا ، ومن انفرد باثنين منها كان دونه » كذا فى التدريب .

ولنترجم الآن لأعلام المحدثين من أصحاب الكتب الستة قبل أن نشرع فى قواعد التحديث وعلوم السنة .

* * *

الامام أبو عبد الله البخارى
(١٩٤ - ٢٥٦ هـ)

هو أبو عبد الله : محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبة[1] الجعفى مولاهم . كان امام المحدثين ، وشيخ الحفاظ فى زمانه من المقلين والمكثرين ، ولد يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة ببخارى ..

والد البخارى :

ذكرت له ترجمة فى كتاب الثقات لابن حبان ، فقال فى الطبقة الرابعة : اسماعيل بن ابراهيم والد البخارى يروى عن حماد بن زيد ومالك ، وروى عنه العراقيون ، وذكر ولده فى التاريخ الكبير فقال : اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة سمع من مالك بن زيد ، وصحب ابن المبارك ، وقيل عند موته : انه لايعلم فى ماله حراما ولاشبهة .

---

(١) وقيل بزرويه ، وقيل ابن الأحنف . وبردزبه بالفارسية : الذراع كذا يقوله أهل بخارى وكان بردزبه فارسيا على دين قومه ثم أسلم ولده المغيرة على يد اليمان الجعفى وأتى بخارى فنسب اليه نسبة ولاء عملا بمذهب من يرى أن من أسلم على يد شخص كان ولاؤه له . وانما قيل له الجعفى لذلك .

البخارى بعد وفاة والده :

لقد توفى والده وهو صغير فنشأ فى حجر أمه ، ثم حج مع أمه وأخيه أحمد وكان أسن منه ، فأقام هو بمكة مجاورا يطلب العلم ورجع أخوه أحمد الى بخارى فمات بها .

حديث البخارى عن نفسه :

ولما بلغ من العلم مبلغه وصار له وراقون ينسخون أعماله قال له أحدهم ذات يوم : كيف كان بدء أمرك فى صدر شبابك ؟ فقال البخارى : « ألهمنى الله حفظ الحديث فى المكتب وكان عمرى أقل من عشر سنين ، ولما خرجت من الكتّاب وكان عمرى اذ ذاك عشر سنين جعلت أذهب الى العلماء : أتعلم منهم وأكتب عنهم ، وكان من بين هؤلاء العلماء شيخ جليل القدر يلقب بالداخلى ، فحدثنا ذات يوم فى درسه عن سفيان ، عن أبى الزبير ، عن ابراهيم حديثا . ولمحت فى هذا السند الذى قاله الشيخ خطأ فلم تمنعنى حداثة سنى ، ولاضآلة جسمى أن قلت له بصوت مسموع على رؤوس الأشهاد : أيها الشيخ .. ان أبا الزبير لم يرو عن ابراهيم ! فانتهرنى بعنف ، وحاول اسكاتى والثبات على ماقال ، فما كان منى الا أن قلت له : ارجع الى أصل كتابك الذى تحدث منه .

فدخل الى منزله ثم خرج فقال لى : كيف قلت ياغلام أن هذا السند خطأ ؟ فقلت : الصواب ، سفيان عن الزبير بن عدى ، عن

ابراهيم . فأخذ القلم منى وأصلح كتابه كما قلت أنا ، ثم قال لى : صدقت ياغلام ! الحق معك .

مكثت أختلف إلى الأشياخ ، ولما كانت سنى ست عشرة سنة حبب الله الى أن أحفظ كتب الإمام عبد الله بن المبارك ، وكتب الإمام وكيع بن الجراح فحفظتها جميعا ، وكان حفظى كما أشهده من نفسى ويشهده منى غيرى حفظا فذا عجيبا ، يمتاز بالسرعة والدقة .

وتلك نعمة سابغة نادرة يمن الله بها على من يشاء من عباده فى الندرة بعد الندرة ، لأمر يريد هو ، ولايعلم سره إلاهو .

ثم جلست مع أمى وأخى أحمد وتشاورنا فى الذهاب الى حج بيت الله الحرام فاتفق رأينا على الذهاب فذهبنا جميعا ، ولما انتهى حجنا رأت أمى أن ترجع معى أخى ، ورأيت أن أتخلف عنهما ، وأمكث بمكة لأزداد من طلب الحديث .

فلما وصلت سنى ثمانى عشرة سنة حبب الله الى التأليف والتصنيف فصنفت كتاب قضايا الصحابة والتابعين ، وكتاب التاريخ .

وكان ذلك التصنيف والتأليف عند قبر نبينا ﷺ .

وكنت أكتبه فى الليالى المقمرة قال : وقل اسم فى التاريخ الا وله عندى قصة الا أنى كرهت أن يطول الكتاب .

رحلاته وحفظه ومحاوراته مع أصحاب الحديث :

قال البخارى : دخلت الى الشام ومصر والجزيزة مرتين والى البصرة أربع مرات وأقمت بالحجاز ستة أعوام ولاأحصى كم دخلت الى الكوفة وبغداد مع المحدثين ، وقال حاشد بن اسماعيل : كان البخارى يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام ، فلقيناه بعد ستة عشر يوما فقال : قد أكثرتم على ، فاعرضوا على ماكتبتم ، فأخرجناه فزاد على خمسة عشر ألف حديث فقرأها كلها عن ظهر قلب حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه ، وقال أبو بكر بن أبى عياش الأعين : كتبنا عن محمد بن اسماعيل وهو أمرد على باب محمد بن يوسف الغريانى .

ورحل البخارى بعد ذلك الى بغداد وكانت شهرته بالحفظ قد سبقته اليها ، فاجتمع أصحاب الحديث ودبروا له امتحانا قاسيا لا يجتازه الا الأفذاذ فعمدوا الى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها ، وجعلوا متن هذا الحديث لاسناد حديث آخر ، واسناد هذا الحديث لمتن آخر ثم وزعوا تلك الأحاديث المائة على عشرة منهم ليسأل كل واحد منهم البخارى عن الأحاديث التى وزعت عليه .

وجاء البخارى وجلس للتحديث ، واجتمعت الخلائق عليه لرؤيته ، والظفر بالسماع منه ، فقام أحد العشرة وسأله عن حديث

من أحاديثه . فقال : لاأعرفه كذلك ، فسأله عن الثانى والثالث حتى العاشر وهو فى كل مرة يقول : لاأعرفه ، وهكذا فعل مع الباقين فلما فرغ العشرة من أحاديثهم التفت البخارى الى السائل الأول وقال له : أما حديثك الأول فصحة اسناده كذا وكذا ، وصحة الثانى كذا وكذا حتى فرغ من الأحاديث المائة فرد كل متن الى اسناده وكل اسناد الى متنه !

فكبر الناس عجبا ! وأقر له علماء الحديث بالحفظ والضبط والإتقان . وكانت له فى كل قطر يدخله عجائب ونوادر كلها تدل على جودة الحفظ وشدة الاتقان ، فتلفت اليه الأنظار وتحببه الى الناس ، وترفع من ذكره .

وسبب تأليفه لكتابه الصحيح أنه سمع أستاذه اسحاق بن راهويه يقول للمحدثين : لو جمعتم كتابا مختصرا للسنن لكان فى ذلك أعظم فائدة لطلاب الحديث .

فوقع ذلك الاقتراح من نفس البخارى موقعا عظيما ، واعتزم أن ينهض بهذا العمل الجليل ، وشرع يعد العدة له ، ومضى فى تأليفه ، واستغرق منه تأليف هذا الكتاب ستة عشر عاما .

كتابه الجامع الصحيح :

وقد انتقى أحاديثه من ستمائة ألف حديث ، وكان قد شرط على

نفسه أن لايثبت فيه الا ماصح من الأحاديث ، ولم يدع البخارى أنه جمع فى كتابه هذا كل الأحاديث الصحيحة ، ولم يدع ذلك له أحد ، بل صرح بأنه ترك كثيرا من الأحاديث الصحاح لم يدخلها فى كتابه خوفا من أن يطول .

وليس أدل على ذلك من تسميته لكتابه ، فقد سماه :

« الجامع الصحيح المختصر المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه » .

أو كما ذكر ابن كثير فى الباعث الحثيث[1] أنه وسم كتابه : (بالجامع المسند الصحيح المختصر فى أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) .

أما تسميته بالجامع فلأنه يجمع طائفة كبيرة من الأحاديث الصحاح كما يجمع الجامع الكثير من المصلين وماينبغى لعاقل أن يعتقد أن هذا الجامع قد جمع جميع المصلين فى البلد الذى هو فيه .

وأما تسميته بالمسند فلأن كل أحاديثه الأصلية مسندة بسند صحيح الى رسول ﷺ .

(١) صفحة ٣٦ .

وأما كلمة المختصر فانها تدل بداهة على أن كتاب البخارى مختصر من الأحاديث الصحاح ، وغير شامل لها .

وكم من أحاديث صحيحة لا يشتمل عليها كتاب البخارى وهى فى صحتها كالأحاديث التى اختارها البخارى صحة متن ، وجودة اسناد .

بيان موضوعه والكشف عن مغزاه فيه :

قال ابن حجر[1] :

تقرر أنه التزم فيه الصحة وأنه لايورد فيه الا حديثا صحيحا ، هذا أصل موضوعه وهو مستفاد من تسميته اياه : الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه ومما نقلناه عنه من رواية الأئمة عنه صريحا ثم رأى أن لايخليه من الفوائد الفقهية والنكت الحكمية فاستخرج بفهمه من المتون معانى كثيرة فرقها فى أبواب الكتاب بحسب تناسبها ، واعتنى فيه بآيات الأحكام فانتزع منها الدلالات البديعة وسلك فى الإشارة الى تفسيرها السبل الوسيعة .

قال الشيخ محيى الدين نفع الله به : ليس مقصود البخارى الاقتصار على الأحاديث فقط ، بل مراده الاستنباط منها والاستدلال

---

(١) مقدمة فتح البارى ٢/٥ - ٦ .

لأبواب أرادها ولهذا المعنى أخلى كثيرا من الأبواب عن اسناد الحديث واقتصر فيه على قوله فيه فلان عن النبى ﷺ أو نحو ذلك ، وقد يذكر المتن بغير اسناد وقد يورده معلقا . وانما يفعل هذا لأنه أراد الاحتجاج للمسألة التى ترجم لها وأشار الى الحديث لكونه معلوما وقد يكون مما تقدم وربما تقدم قريبا ، ويقع فى كثير من أبوابه الأحاديث الكثيرة وفى بعضها مافيه حديث واحد ، وفى بعضها مافيه آية من كتاب الله وبعضها لاشىء فيه البتة ، وقد ادعى بعضهم أنه صنع ذلك عمدا وغرضه أنه يبين أنه لم يثبت عنه حديث بشرطه فى المعنى الذى ترجم عليه ومن ثمة وقع من بعض نسخ الكتاب ضم باب لم يذكر فيه حديث الى حديث لم يذكر فيه باب فأشكل فهمه على الناظر فيه . وقد أوضح السبب فى ذلك الامام أبو الوليد الباجى المالكى فى مقدمة كتابه فى أسماء رجال البخارى .

شذرات عن البخارى :

* كانت أول محاضرة تلقاها فى الحديث وأول رواية سمعها كانت سنة ٢٠٥هـ .

* أول رحلاته العلمية كانت ٢١٠هـ .

* شملت هذه الرحلات كثيرا من البلاد : مرو - نيسابور -

بغداد - البصرة - الكوفة - مكة - المدينة - مصر - دمشق - عسقلان - حمص وغيرها .

* تلقى العلم عن أكثر من ألف أستاذ .

* حدث البخارى بالحجار والعراق وخراسان وماوراء النهر وكتب عنه المحدثون وهو شاب وهم شيوخ .

* ومن أشهر أساتذته : أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وعلى بن المدينى .

* من أشهر تلامذته : الامام مسلم ، والترمذى ، وابن خزيمة .

* من أشهر مؤلفاته :

١ - الجامع الصحيح .

٢ - التاريخ الكبير .

٣ - التاريخ الصغير .

٤ - الأدب المفرد .

٥ - المسند الكبير .

٦ - الضعفاء الكبير .

٧ - الضعفاء الصغير .

٨ - خلق أفعال العباد .

* كان الى جوار هذا يتعلم الرمى ويتدرب على فن القتال استعدادا للجهاد فى سبيل الله حتى يشفع العلم بالعمل .

* ضرب البخارى أروع الأمثلة فى الزهد والورع والإباء والعزة وكان من القانتين الذين يبيتون لربهم سجدا وقياما .

* قال الذهبى عن الجامع الصحيح : « وأما جامع البخارى الصحيح ، فأجل كتب الاسلام وأفضلها بعد كتاب الله تعالى . فلو رحل الشخص لسماعه من ألف فرسخ لما ضاعت رحلته .

* قال العقيلى – فى شأن ماانتقد عليه[1] – : « القول فيه ماقال البخارى » .

* كانت وفاة البخارى – بعد هذه الحياة الحافلة بالمآثر الجليلة – سنة ست وخمسين ومائتين بتمرتنك وهى قرية بظاهر سمرقند – على ثلاثة فراسخ منها وقيل على فرسخين .

* * *

(١) أفرد ابن حجر بحثا خاصا فى المقدمة فى الفصل الثامن (ص ٣٤٤ – ٣٨١) عن الأحاديث المنتقدة على البخارى وأوردها حديثا حديثا وأجاب عن هذه الانتقادات اجابة علمية ضافية ثم قال : وليست كلها قادحة ، بل اكثرها الجواب عنه ظاهر ، والقدح فيه مندفع ، وبعضها : الجواب عنه محتمل ، واليسير منه فى الجواب عنه تعسف .

فاذا تأمل المنصف ماحررته من ذلك عظم مقدار هذا المصنف فى نفسه ، وجل تصنيفه فى عينه وعذر الأئمة من أهل العلم فى تلقيه بالقبول والتسليم وتقديمهم له على كل مصنف فى الحديث والقديم .

وليسا سواء : من يدفع بالصدر فلا يأمن دعوى العصبية ، ومن يدفع بيد الانصاف على القواعد المرضية ، والضوابط المرعية .

الامام مسلم
(٢٠٤ - ٢٦١هـ)

هو الامام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى أبو الحسين النيسابورى الحافظ . روى عن القعنبى ، وأحمد بن يونس ، واسماعيل ابن أبى أويس ، وداود بن عمرو الضبى ، ويحيى بن يحيى النيسابورى ، والهيثم بن خارجة ، وسعيد بن منصور ، وشيبان بن فروخ ، وخلق كثير قد ذكروا فى هذا الكتاب .

روى عنه الترمذى حديثا واحدا عن يحيى بن يحيى عن أبى معاوية عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة حديث : احصوا هلال شعبان لرمضان . ما له فى جامع الترمذى غيره وأبو الفضل أحمد بن سلمة ، وابراهيم بن أبى طالب ، وأبو عمرو الخفاف ، وعلى بن الحسين الخفاف الهلالى ، ومحمد بن عبد الوهاب الفراء وهما من شيوخه ، وأبو محمد بن أبى حاتم الرازى .

حصل لمسلم فى كتابه حظ عظيم مفرط لم يحصل لأحد مثله بحيث أن بعض الناس كان يفضله على صحيح محمد بن اسماعيل وذلك لما اختص به من جمع الطرق وجودة السياق ، والمحافظة على أداء الألفاظ كما هى من غير تقطيع ولا رواية بمعنى وقد نسج على منواله خلق من النيسابوريين فلم يبلغوا شأوه ، وحفظت منهم

أكثر من عشرين اماما ممن صنف المستخرج على مسلم فسبحان المعطى الوهاب ، وله من التصنيف غير الجامع كتاب الانتفاع بجلود السباع والطبقات مختصر والكنى كذلك ومسند حديث مالك وذكره الحاكم فى المستدرك فى كتاب الجياء استطرادا وقيل انه صنف مسندا كبيرا على الصحابة لم يتم .

قال فيه شيخه محمد بن عبد الوهاب الفراء : كان مسلم من علماء الناس وأوعية العلم ، ماعلمته الا خيرا وكان بزازا ، وكان أبوه الحجاج من المشيخة .

وقال ابن عقدة : قلما يقع الغلط لمسلم فى الرجال لأنه كتب الحديث على وجهه . وقال أبو بكر الجارودى : حدثنا مسلم بن الحجاج وكان من أوعية العلم .

وقال مسلمة بن قاسم : ثقة جليل القدر من الأئمة ، وقال ابن أبى حاتم : كتبت عنه ، وكان ثقة من الحفاظ له معرفة بالحديث ، وسئل عنه أبى فقال : صدوق ، وقال بندار : الحفاظ أربعة : أبو زرعة ، ومحمد بن اسماعيل ، والدارمى ، ومسلم .

* * *

مقارنة بين صحيحى البخارى ومسلم :

قال الدارقطنى[1] لما ذكر عنده الصحيحان : لولا البخارى لما ذهب مسلم ولا جاء ، وقال مرة أخرى : وأى شىء صنع مسلم انما أخذ كتاب البخارى فعمل عليه مستخرجا ، وزاد فيه زيادات ، قال ابن حجر - بعد حكاية هذا القول : وهذا الذى حكيناه عن الدار قطنى جزم به أبو العباس القرطبى فى أول كتابه المفهم فى شرح صحيح مسلم ، والكلام فى نقل كلام الأئمة فى تفضيله كثير ، ويكفى منه اتفاقهم على أنه كان أعلم بهذا الفن من مسلم ، وأن مسلما كان يشهد له بالتقدم فى ذلك والإمامة فيه والتفرد بمعرفة ذلك فى عصره حتى هجره من أجله شيخه محمد بن يحيى الذهلى ، فهذا من حيث الجملة ، وأما من حيث التفصيل فقد قررنا أن مدار الحديث الصحيح على الاتصال ، واتقان الرجال ، وعدم العلل وعند التأمل يظهر أن كتاب البخارى أتقن رجالا وأشد اتصالا ، وبيان ذلك من أوجه :

أحدها : إن الذين انفرد البخارى بالاخراج لهم دون مسلم أربعمائة وبضعة وثلاثون رجلا المتكلم فيه بالضعف منهم ثمانون رجلا ، والذين انفرد مسلم بالاخراج لهم دون البخارى ستمائة

---

(١) مقدمة فتح البارى ص ٩ - ١٠ .

وعشرون رجلا المتكلم فيه بالضعف منهم مائة وستون رجلا ولاشك أن التخريج عمن لم يتكلم فيه أصلا أولى من التخريج عمن تكلم فيه ، وان لم يكن ذلك الكلام قادحا .

ثانيها : إن الذين انفرد بهم البخارى ممن تكلم فيه لم يكثر من تخريج أحاديثهم وليس لواحد منهم نسخة كبيرة أخرجها كلها أو أكثرها الا ترجمة عكرمة عن ابن عباس بخلاف مسلم فانه أخرج أكثر تلك النسخ كأبى الزبير عن جابر وسهيل عن أبيه والعلاء بن عبد الرحمن عن أبيه وحماد بن سلمة عن ثابت وغير ذلك ..

ثالثها : ان الذين انفرد بهم البخارى ممن تكلم فيه أكثرهم من شيوخه الذين لقيهم وجسالهم وعرف أحوالهم واطلع على أحاديثهم وميز جيدها من موهومها بخلاف مسلم فان أكثر من تفرد بتخريج حديثه ممن تكلم فيه ممن تقدم عن عصره من التابعين ومن بعدهم ولاشك أن المحدث أعرف بحديث شيوخه ممن تقدم منهم .

رابعها : إن البخارى يخرج من أحاديث أهل الطبقة الثانية انتقاء ومسلم يخرجها أصولا كما تقدم ذلك من تقرير الحافظ أبى بكر الحازمى . فهذه الأوجه الأربعة تتعلق باتقان الرواة . وبقى مايتعلق بالاتصال وهو الوجه الخامس وذلك أن مسلما كان مذهبه على ماصرح به فى مقدمة صحيحه وبالغ فى الرد على من خالفه أن الاسناد المعنعن له حكم الاتصال اذا تعاصر المعنعن ومن عنعن عنه

وان لم يثبت اجتماعهما ولو مرة ، وقد أظهر البخارى هذا المذهب فى تاريخه وجرى عليه فى صحيحه وأكثر منه حتى أنه ربما خرج الحديث الذى لاتعلق له بالباب جملة .الا ليبين سماع راو من شيخه لكونه قد أخرج له قبل ذلك شيئا معنعنا ، وسترى ذلك واضحا فى أماكنه ان شاء الله تعالى وهذا مما ترجح به كتابه ، لأنا وان سلمنا ماذكره مسلم من الحكم بالاتصال فلا يخفى أن شرط البخارى أوضح فى الاتصال ، والله أعلم .

ثم أفاد ابن حجر أن قول مسلم بن قاسم القرطبى عن صحيح مسلم لم يضع أحد مثله . قال : هذا محمول على حسن الوضع وجودة الترتيب ، وسياق المتون تامة دون تقطيع لها كصنيع البخارى .

فهذه جهة أخرى من التفضيل لا ترجع الى مايتعلق بنفس الصحيح .

* وقال النووى[1] : ومما ترجح به كتاب البخارى : أن مسلما رحمه الله كان مذهبه - بل نقل الاجماع فى أول صحيحه : أن الاسناد المعنعن له حكم الموصول بسمعت بمجرد كون المعنعن والمعنعن عنه كانا فى عصر واحد ، وان لم يثبت اجتماعهما ، والبخارى لا يحمله على الاتصال حتى يثبت اجتماعهما .

(١) مقدمة صحيح مسلم للنووى ص ١٤ - ١٥ .

وهذا المذهب يرجح كتاب البخارى ، وان كنا لا نحكم على مسلم بعمله فى صحيحه بهذا المذهب لكونه يجمع طرقا كثيرة . يتعذر معها وجود هذا الحكم الذى جوزه ، والله أعلم .

وقد انفرد مسلم بفائدة حسنة ، وهى كونه أسهل متناولا ، من حيث انه جعل لكل حديث موضعا واحدا يليق به ، جمع فيه طرقه التى ارتضاها واختار ذكرها ، وأورد فيه أسانيده المتعددة ، وألفاظه المختلفة ، فيسهل على الطالب النظر فى وجوهه ، واستثمارها ، ويحصل له الثقة بجميع ماأورده مسلم من طرقه بخلاف البخارى ، فانه يذكر تلك الوجوه المختلفة فى أبواب متفرقة متباعدة ، وكثير منها يذكره فى غير بابه الذى يسبق الى الفهم أنه أولى به ، وذلك لدقيقة يفهمها البخارى منه ، فيصعب على الطالب جمع طرقه ، وحصول الثقة بجميع ماذكره البخارى من طرق هذا الحديث[1] .

* * *

(١) الآن أصبح ارتياد هذا الطريق سهلا ، وذلك بالرجوع الى الفهارس التى وضعها العلماء للبخارى وغيره ، ومن ذلك :

١ - تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للمزى .

٢ - ذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الأحاديث للنابلسى .

٣ - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى .

٤ - الفهارس المختلفة للبخارى .

شذرات عن الامام مسلم :

* ولد الامام مسلم بنيسابور فى العام الذى توفى فيه الامام الشافعى ، والمحدث أبو داود الطيالسى عام ٢٠٤هـ .

* ينتسب مسلم الى قبيلة بنى قشير احدى قبائل العرب .

* كان له تهمم بالدراسة والعلم منذ نشأته ، فطلب الحديث من صغره .

* كانت له رحلة وسماع بنيسابور ، والرى ، والعراق ، والشام ، والحجاز ، ومصر ، تلقى فيها عن الكثيرين ، ومنهم أساتذة البخارى ، ولما ورد البخارى نيسابور تلمذ له ، ولازمه ، ووقف الى جانبه ، واعتزل شيخه الذهلى من أجله .

منهجه فى كتابه[1] :

* قال النووى[2] : « أجمعوا على جلالته وامامته ، وعلو مرتبته ، وحذقه فى هذه الصنعة ، وتقدمه فيها ، وتضلعه منها » .

ومن أكبر الدلائل : كتابه الصحيح الذى لم يوجد فى كتاب قبله ولا بعده [ماوجد فيه] من حسن الترتيب ، وتلخيص طرق الحديث بغير زيادة ولانقصان ، والاحتراز من التحويل فى الأسانيد

---

(١) عدا ماتقدم فى المقارنة بينه وبين صحيح البخارى .

(٢) فى « تهذيب الأسماء واللغات » له .

عند اتفاقها من غير زيادة ، وتنبيهه على ما فى ألفاظ الرواة من اختلاف فى متن أو اسناد ولو فى حرف ، واعتناؤه بالتنبيه على الروايات المصرحة بسماع المدلسين » .

* عرض مسلم لكتابه على أبى زرعة :

قال الامام مسلم : عرضت كتابى - هذا - على أبى زرعة الرازى فكل ماأشار أن له علة تركته ، وكل ماقال انه : صحيح وليس له علة خرجته .

وكان رحمه الله يقول : صنفت هذا المسند من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة .

* * *

* كانت وفاته - كما قال أبو عبد الله الأخرم : عشية الأحد ، ودفن يوم الاثنين لخمس بقين من رجب سنة احدى وستين ومائتين [بنيسابور التى ولد بها] وهو ابن خمس وخمسين سنة[1].

* * *

(١) راجع ترجمته فى تهذيب التهذيب ١٠/١٢٦ - ١٢٨ ، والبداية والنهاية ١١/٣٣ - ٣٤ وتهذيب الاسماء واللغات ٢/٨٩ - ٩٢ ومقدمة النووى على مسلم ١/٢٧ ، وشذرات الذهب ٢/١٤٤ - ١٤٥ ، ووفيات الأعيان ٥/١٩٤ - ١٩٦ ، والعبر للذهبى ٢/٢٣ ، ووفيات ابن قنفذ ص ١٨٥ - ١٨٦ .

أبو داود
(٢٠٢ - ٢٧٥هـ)

هو سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو بن عامر[1] .

ولد سنة ٢٠٢هـ ورحل الى مختلف الأقطار فتلقى العلم عن كثير من الفقهاء والمحدثين : العراقيين ، والخراسانيين ، والشاميين ، والمصريين ، والجزريين ، ومنهم أساتذة البخارى : كأحمد بن حنبل ، وعثمان بن أبى شيبة ، وقتيبة بن سعيد .

روى عنه الكثيرون منهم : أبو عبد الرحمن النسائى ، وأبو عيسى الترمذى ، وابنه أبو بكر بن أبى داود .

روايته لكتابه : « السنن » ببغداد :

قال الخطيب البغدادى : كان أبو داود قد سكن البصرة ، وقدم بغداد غير مرة ، وروى كتابه : « السنن » بها ، ويقال انه صنفه قديما ، وعرضه على أحمد .

---

(١) قال ابن حجر فى التهذيب (١٦٩/٤) : ويقال عمران ، وقال ابن داسة والآجرى : سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير بن شداد أبو داود السجستانى الحافظ .

نهجه الجديد فى كتابه :

نهج أبو داود نهجا جديدا ، فكل من سبقه كان يجمع فى كتابه بين الأحكام وبين أحاديث التاريخ والتفسير والرقائق والآداب والقصص ، فعمد هو الى أحاديث الأحكام فجعلها هى الظاهرة العامة فى كتابه ، ومن هنا كانت تسميته بالسنن لا بالجامع كالبخارى .

قالوا عن أبى داود :

* « ألين لأبى داود الحديث ، كما ألين لداود عليه السلام الحديد » !

(محمد بن اسحاق الصغانى وابراهيم الحربى)

* « كان أبو داود يفى بمذاكرة مائة ألف حديث ، ولما صنف السنن وقرأه على الناس صار كتابه لأهل الحديث كالمصحف يتبعونه ، وأقر له أهل زمانه بالحفظ » .

(محمد بن مخلد)

* « كان أحد أئمة الدنيا فقها وعلما ، وحفظا ونسكا ، وورعا واتقانا ، جمع وصنف وذب عن السنن » .

(أبو حاتم بن حبان)

* « الذين أخرجوا وميزوا الثابت من المعلول ، والخطأ من الصواب أربعة : البخارى ومسلم وبعدهما أبو داود والنسائى » .

(أبو عبد الله بن منده)

من مصنفات أبى داود :

١ - السنن [١] .

٢ - الرد على أهل القدر .

٣ - الناسخ والمنسوخ .

٤ - المسائل .

٥ - مسند مالك .

٦ - المراسيل .

* كانت وفاته عام ٢٧٥ لأربع عشرة بقين من شوال[٢] .

---

(١) هو أشهر كتبه على الاطلاق ، قال عن منهجه فيه : « ذكرت فيه الصحيح ومايشبهه ومايقاربه ، وما كان فيه من وهن شديد بينته ، وما سكت عنه فهو صالح » .

وقد اختلف العلماء فى المراد بقوله صالح ، فان كان يعنى انه صالح للاحتجاج فمعنى هذا أن ماسكت عنه لايقل عن الجيد والحسن .

وان كان يعنى أنه صالح للاعتبار فهو اذن محل بحث وتوقف ونظر والأرجح الثانى ، فقد أخذت عليه أحاديث سكت عنها .

ومعنى هذا أنه : حيث لم يلتزم ايراد الصحيح ، ولم يلتزم بيان درجة كل حديث فلا يجوز الاستشهاد بحديث من السنن الا مع بيان درجته من الشروح أو من المراجع المعتمدة فى ذلك .

(٢) تهذيب التهذيب ١٦٩/٤ - ١٧٣ .

الترمذى
(٢٠٩ - ٢٧٩هـ)

هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك بن السكن السلمى أبو عيسى الترمذى .

كان مولده بترمذ[١] عام ٢٠٩هـ وهو واحد من أعلام الفقه والحديث ، رحل الى كثير من البلدان ، وتلقى عن علماء خراسان والعراق والحجاز ، ومن أشهر أساتذته : البخارى ، وقتيبة بن سعيد ، وعلى بن حجر .

روى عنه الكثيرون ، ومنهم أستاذه البخارى تقديرا لفضله ، وثقة بروايته[٢] ، وقد دخل الترمذى بخارى وحدث بها .

---

(١) مدينة قديمة على طرف نهر بلخ المسمى بجيحون .

(٢) أورد ابن حجر فى التهذيب (٩/ ٣٨٧) رواية الترمذى لحديثه عن على بن المنذر بن فضيل ، عن سالم بن أبى حفصة ، عن عطية ، عن أبى سعيد : أن النبى ﷺ قال لعلى : « لا يحل لأحد يجنب فى هذا المسجد غيرى وغيرك » .

ثم قال ابن حجر : قال الترمذى : سمع منى محمد بن اسماعيل [يعنى البخارى] هذا الحديث .

وبنحو هذا أورده ابن كثير فى البداية والنهاية ١١/٦٧ .

وكان مضرب المثل فى الحفظ والاتقان ، وصنف فى الحديث والتاريخ والعلل والشمائل ، تصنيف العالم المستبحر[١] .

وكان من منهجه فى الجامع أن يتتبع روايات الحديث ، ويذكر الصحابة الذين أثر عنهم فى بابه ، ويبين درجته من صحة وحسن وضعف ، وشهرة وغرابة ، ثم يعقب بأثارة من علم عن فقه الحديث ، ولهذا يعد كتاب سنة وفقه معا ، ويمكن لطالب الحديث أن يعتمد على روايته ، لتبيينه درجتها - دون أن يتوقف فى ذلك على الشروح .

* وقد تقبل العلماء أحكامه على الحديث ، الا فى النزر اليسير . قال عن نفسه :

« قال لى محمد بن اسماعيل ، ماانتفعت بك أكثر مما انتفعت بى ! » .

وقال عن كتابه :

* « صنفت هذا المسند الصحيح وعرضته على علماء الحجاز

(١) من مصنفاته :
١ - الجامع ، ويسمى بالسنن أيضا ، وبالجامع الكبير .
٢ - الشمائل . ٣ - أسماء الصحابة .
٤ - الجرح والتعديل .
٥ - العلل وقد صنفه بسمرقند سنة ٢٧٠هـ .

فرضوا به ، وعرضته على علماء العراق فرضوا به ، وعرضته على علماء خراسان فرضوا به ! .

* ومن كان فى بيته هذا الكتاب فكأنما فى بيته نبى ينطق ! » .

قالوا عن كتابه :

* « وكتاب الترمذى - عندى - أنور من كتاب البخارى ومسلم ، لأنه لا يصل الى الفائدة منهما الا من هو من أهل المعرفة التامة بهذا الفن ، وكتاب الترمذى قد شرح أحاديثه وبينها ، فيصل اليها كل أحد من الناس : من الفقهاء والمحدثين ، وغيرهم » .
(أبو اسماعيل : عبد الله بن محمد الأنصارى)

* « وكتاب الجامع أحد الكتب الستة التى يرجع اليها العلماء فى سائر الآفاق وجهالة ابن حزم لا تضره ، حيث قال فى محلاه : ومن محمد بن عيسى بن سورة ؟ فان جهالته لاتضع من قدره عند أهل العلم ، بل وضعت منزلة ابن حزم عند الحفاظ » .
(ابن كثير)

* « فى سنن الترمذى ماليس فى غيرها من ذكر المذاهب ووجوه الاستدلال وتبيين أنواع الحديث من الصحيح والحسن والغريب » .
(ابن الأثير)

وقالوا عنه :

* « كان ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر » .

(ابن حبان)

* « ثقة مجمع عليه ، ولا التفات الى قول أبى محمد بن حزم فيه انه مجهول ، فانه ماعرفه ولا درى بوجود الجامع والعلل اللذين له »

(الذهبى)

وفاته :

أخبر بأواخر عمره بعد أن رحل وسمع وكتب وذاكر وناظر وصنف ، ثم كانت وفاته فى بلدته فى رجب من سنة تسع وسبعين ومائتين[1] .

* * *

(١) له ترجمة فى البداية والنهاية ٦٦/١١ - ٦٧ ، وتهذيب التهذيب ٣٨٧/٩ - ٣٨٩ ، وميزان الاعتدال ٦٧٨/٣ ، ومقدمة شروط الأئمة الستة للمقدسى ص ٦ ، والرسالة المستطرفة ص ٩ ، والعبر للذهبى ٦٤/٢ والنجوم الزاهرة ٨/٣ ، ووفيات الأعيان ٢٧٨/٤ .

ابن ماجه القزوينى
(٢٠٩ - ٢٧٣هـ)

هو أبو عبد الله : محمد بن يزيد بن مالك الربعى القزوينى[١] الحافظ المشهور صاحب كتاب السنن المشهور باسمه ، مفسر ومحدث ومؤرخ . ولد عام ٢٠٩هـ .

كانت له رحلة الى العراق والبصرة والكوفة وبغداد ومكة والشام ومصر والرى .

قال عن كتابه :

* عرضت هذه السنن على أبى زرعة ، فنظر فيه وقال : « أظن ان وقع هذا فى أيدى الناس تعطلت هذه الجوامع أو أكثرها » .

ثم قال : « لعله لايكون فيه تمام ثلاثين حديثا ، مما فى اسناده ضعف »

وقالوا عنه :

---

(١) قال ابن خلكان : الربعى هذه نسبة الى ربيعة ، وهى اسم لعدة قبائل ، لأدرى الى أيها ينتسب .

والقزوينى : نسبة الى قزوين وهى من أشهر مدن عراق العجم ، خرج منها جماعة من العلماء المعتبرين .

* « ابن ماجه : ثقة ، كبير ، متفق عليه ، محتج به ، له معرفة وحفظ ، ارتحل الى العراقين ومكة والشام ومصر » .

(أبو يعلى الخليلى)

وقالوا عن كتابه :

* « صاحب كتاب السنن المشهورة ، وهى دالة على عمله وعلمه وتبحره ، واطلاعه واتباعه للسنة فى الأصول والفروع ، ويشتمل على اثنين وثلاثين كتابا ، وألف وخمسمائة باب ، وعلى أربعة آلاف حديث كلها جياد سوى اليسيرة » .

(ابن كثير)

* « كتابه فى السنن جامع جيد ، كثير الأبواب والغرائب ، وفيه أحاديث ضعيفة جدا حتى بلغنى أن السرى كان يقول : مهما انفرد بخبر فيه فهو ضعيف غالبا وليس الأمر فى ذلك على اطلاقه باستقرائى وفى الجملة ففيه أحاديث كثيرة منكرة ، والله تعالى المستعان » .

(ابن حجر)

* « كل ماانفرد به ابن ماجه فهو ضعيف »[1] .

(المزى)

---

(١) قال ابن حجر : يعنى بذلك ما انفرد به من الحديث عن الأئمة الخمسة انتهى ماوجدته بخطه وهو القائل يعنى وكلامه هو ظاهر كلام شيخه لكن حمله على الرجال أولى . وأما حمله على أحاديث فلا يصح كما قدمت ذكره من وجوه الأحاديث الصحيحة والحسان مما انفرد به الخمسة .

الاعتماد على كتابه :

لايجوز لطالب الحديث أن يعتمد حديثا من سنن ابن ماجه الا اذا استوثق من درجته . وذلك بالرجوع الى شروح ابن ماجه ، أو التعليقات عليه . وللحافظ الشهاب البوصيرى (مصباح الزجاجة فى زوائد ابن ماجه) : تكلم فيه على كل اسناد من أسانيد تلك الزوائد بما يليق بحاله من صحة وحسن وضعف وغير ذلك ، وماسكت عليه ففيه نظر . ونصه على الضعف الشديد فى حديث مّاكاف فى سقوطه من مقام الاحتجاج به سواء أنطق بالوضع أم لم ينطق به .

سنن ابن ماجه بين الكتب الستة :

وأول من أدخل كتاب السنن له فى عداد الأصوال الستة هو الحافظ أبو الفضل بن طاهر ، فتتابع أكثر الحفاظ على ذلك فى كتبهم فى الرجال والأطراف .

وأما مانظمه ابن الجوزى فى سلك الموضوعات من أحاديثه فنحو ثلاثين حديثا ، وفعل مثل ذلك مع الترمذى الا أن ما فى ابن ماجه من الضعف الشديد فى ثلثى هذا المقدار .

مؤلفاته :

١ – تفسير القرآن الكريم .
٢ – تاريخ كامل من لدن الصحابة الى عصره .

٣ - السنن فى ٤٣٤١ حديثا ، كما أحصاها الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى .

* ولقد وقعت جملة أحاديث السنن من هذه الأحاديث ٣٠٠٢ حديث أخرجها أصحاب الكتب الخمسة كلهم أو بعضهم . وباقى الأحاديث وعددها ١٣٣٩ هى الزوائد على ماجاء بالكتب الخمسة .

وبيان الزوائد :

٤٢٨ أحاديث رجالها ثقات ، صحيحة الاسناد .

١٩٩ أحاديث حسنة الاسناد .

٦١٣ أحاديث ضعيفة الاسناد .

٩٩ أحاديث واهية الاسناد أو منكرة أو مكذوبة .

وفاته :

كانت وفاة ابن ماجه يوم الاثنين ، ودفن يوم الثلاثاء لثمان بقين من رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائتين ، عن أربع وستين سنة .

وصلى عليه أخوه أبو بكر ، وتولى دفنه مع أخيه أبى عبد الله وابنه عبد الله بن محمد بن يزيد رحمه الله[1] .

وقيل : كانت وفاته عام ٢٧٥هـ .

(١) له ترجمة فى البداية والنهاية ٥٢/١١ ، وتهذيب التهذيب ٥٣٠/٩ ، والعبر للذهبى ٥١/٢ ، وشذرات الذهب ١٦٤/٢ ، ووفيات الأعيان ٢٧٩/٤ ، والرسالة المستطرفة ص ١٠ - ١١ .

النسائى
(٢١٥ - ٣٠٣هـ)

هو أبو عبد الرحمن : أحمد بن على بن شعيب بن على بن سنان ابن بحر النسائى[١] الحافظ .

نشأ بنسأ ، ثم ارتحل فى طلب الحديث الى علماء الشام والحجاز والجزيرة والعراق ومصر ، وكانت آخر مطافه ، فاستوطنها الى أخريات أيامه ، فما ان نبه شأنه ، وبان خطره ، فى الحديث وعلومه ، حيث تفوق فيه تفوقا ملحوظا حتى أدركه من الحسد[٢] مايتكرر دائما مع كل ذى موهبة أو نبوغ ، فاضطر الى الرحيل عن مصر الى دمشق ، والدولة فيها يومئذ لمعاوية ، فكان حظه بها شرا مما انتهى به فى مصر .

---

(١) نسبة الى نسأ : مدينة بخراسان ، خرج منها جماعة من الأعيان كما ذكر ابن خلكان .

(٢) لم يكن الحسد الذى واجه النسائى ظاهرة عامة من أقرانه أو أساتذه بمصر ، بل كان الشذوذ الذى يحمل لواءه قلة حاقدة ، أما الجمهرة فقد كانت تعترف له بالفضل ، وتقر له بالامامة ، قال ابن حجر : « كان العلماء بمصر يعترفون لأبى عبد الرحمن النسائى بالتقدم والامامة ، ويصفون من اجتهاده فى العبادة بالليل والنهار ، ومواظبته على الحج والجهاد ، واقامته السنن المأثورة ، واحترازه عن مجالس السلطان ، وأن ذلك لم يزل دأبه الى أن استشهد » .

لقد أقام فترة يصنف ويؤلف ، ويقرأ ويعلم : صنف كتاب « الخصائص » فى فضائل على ، اذ وجد المنحرفين عليه كثيرين ، فرجا به أن يهديهم الله، ثم صنف - بعد ذلك - كتاب فضائل الصحابة وقرأه على الناس ، ثم سئل عن معاوية وماروى من فضائله ؟ فقال : أما يرضى معاوية أن يروح رأسا برأس حتى يفضل ؟ وفى رواية أخرى : ماأعرف له فضيلة الا : « لا أشبع الله بطنك » وكان معروفا بالتشيع ، فما زالوا به ضربا ودفعا ودوسا حتى حمل الى الرملة أو الى مكة فمات بها[1] .

قال عن نفسه :

* « يشبه أن يكون مولدى فى سنة ٢١٥ لأن رحلتى الأولى الى قتيبة كانت فى سنة ٣٥ أقمت عنده سنة وشهرين » .

* « دخلت دمشق والمنحرف بها عن على كثير ، فصنفت كتاب الخصائص رجاء أن يهديهم الله به » .

وقالوا عنه :

* « النسائى أفقه مشايخ أهل مصر فى عصره ، وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار ، وأعرفهم بالرجال » .

(الحاكم)

---

(١) وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهانى : لما داسوه بدمشق مات بسبب ذلك الدوس وهو منقول .

* « من يصبر على مايصبر عليه أبو عبد الرحمن ؟ كان عنده حديث ابن لهيعة ترجمة ترجمة ، فما حدث بها ، وكان لا يرى أن يحدث بحديث ابن لهيعة » .

(الدار قطنى)

*« للنسائى شرط فى الرجال أشد من شرط مسلم بن الحجاج[1]، وكان من أئمة المسلمين .... هو الامام المحدث بلا مدافعة » .

(أبو على بن السكن الحافظ)

---

(١) فى هذا مبالغة – دون شك – ومثله قول الخطيب البغدادى عن كتاب السنن للنسائى : انه صحيح ، فقد قال ابن كثير – فى الباعث الحثيث صـ٣٢ : هذا غير مسلم فان فى السنن للنسائى رجالا مجهولين أما عينا ، أو حالا ، وفيهم المجروح ، وفيه أحاديث ضعيفة ومعللة ومنكرة . وعجيب أن يروى ابن كثير قول الحافظ ابن على – المذكور – فى البداية والنهاية (١١ /١٢٣) دون ان يعقب عليه ، بينما يعقب عليه بذلك فى الباعث الحثيث ، بل فى كتابه : « الأحكام الكبير » كما أشار – هو – الى ذلك . وقد قال العراقى فى ألفيته (١/١٢٤) :

ومن عليها أطلق الصحيحا فقد اتى تساهلا صريحا

وقد شرح ذلك بقوله : أى ومن أطلق الصحيح على كتب السنن فقد تساهل ، كأبى طاهر السلفى حيث قال فى الكتب الخمسة : اتفق على صحتها علماء المشرق والمغرب ، وكأبى عبد الله الحاكم ، حيث أطلق على الترمذى (الجامع الصحيح) وكذا الخطيب أطلق عليه وعلى النسائى اسم الصحيح وقال الشيخ زكريا الأنصارى فى فتح الباقى على ألفية العراقى ، تعليقا على قوله : « تساهلا صريحا » قال : اذ فيها ماصرحوا بأنه ضعيف أو منكر أو نحوه .

مؤلفاته :

١ - السنن .
٢ - الضعفاء والمتروكون .
٣ - خصائص على .
٤ - فضائل الصحابة .

اعتماد أحاديث السنن :

* حيث لم يلتزم النسائى فى كتابه : الصحة ، ولم يسلم له الالتزام بذلك ، فلا يجوز الاعتماد على شىء من حديثه الا اذا اطمأن الباحث الى درجة الحديث وذلك بالرجوع الى الشروح أو الدراسات المعتمدة فى ذلك .

وفاته :

* كانت وفاته فى شعبان يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من صفر سنة ثلاث وثلاثمائة[1] .

* * *

(١) راجع ترجمته فى البداية والنهاية ١٢٣/١١ - ١٢٤ ، وفيات الأعيان ٧٧/١ - ٧٨ ، وشذرات الذهب ٢٣٩/٢ ، والعبر ١٢٣/٢ ، والرسالة المستطرفة ص ١٠ ، والنجوم الزاهرة ١٨٨/٣ ، وتهذيب التهذيب ٣٦/١ - ٣٨ ، وطبقات الشافعية ٢١٤/٣ ، ووفيات ابن قنفذ ص ١٩٨ - ١٩٩ .

وتتابع الجمع والتأليف ، كما تتابعت الرواية والتصنيف بعد القرن الثالث ، بيد أن هذا القرن كان أزهى القرون برواية السنة ، وظلت الكتب الستة واسطة العقد بالنسبة لما دون قبلها ، وماصنف بعدها .

* * *

- مواكبة النقد للنقل
- شذرات من مصطلح الحديث
- المرفوع والموقوف والمقطوع
- وقفة مع الموقوف
- تقسيم الحديث الى متواتر وآحاد
- الآحاد
- الغريب
- تقسيم الحديث الى مقبول ومردود
- الأنواع الخمسة

مواكبة النقد للنقل
أو تساوق الدراية بالحديث مع الرواية له

وبقدر ما نشطت حركة النقل والرواية للحديث ، نشطت حركة النقد والدراية به ، وانتهض علماء الحديث لاستنباط القواعد والأصول التى يحمون بها أصيل الحديث من دخيله ، ويميزون بها صحيحه من عليله ، وطالما أسهروا دجاهم ، وأظمأوا نهارهم ، تطلعا لقاعدة ، أو تطلبا لفائدة ، أو بحثا عن سهم للحق يقذف به على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق .

ولقد حدث الحاكم أبو عبد الله النيسابورى عن نشاط أصحاب الحديث - آنئذ - حيث قال :

« ان أصحاب الحديث خير الناس : وكيف لايكونون كذلك ، وقد نبذوا الدنيا بأسرها وراءهم ، وجعلوا غذاءهم : الكتابة ، وسمرهم : المعارضة ، واسترواحهم : المذاكرة ، وخلوقهم : المداد ، ونومهم : السهاد ، واصطلاءهم : الضياء ، وتوسدهم : الحصى ، فالشدائد مع وجود الأسانيد العالية - عندهم رخاء ؟ ! ووجود الرخاء مع فقد ماطلبوه - عندهم - بؤس ؟ ! وعقولهم بلذاذة السنة غامرة ، وقلوبهم بالرضاء فى الأحوال عامرة ، تعلم

السنن سرورهم ، ومجالس العلم حبورهم وأهل السنة قاطبة اخوانهم ، وأهل الالحاد والبدع بأسرها أعداؤهم[1] .

* * *

(١) معرفه علوم الحديث ص ٣

شذرات فى مصطلح الحديث

محور أنواع الحديث :

يدور تقسيم الحديث فى معظم أنواعه حول محور تساؤلات ثلاثة :

* **الأول** : من قائل الحديث أو من هو الذى ينسب اليه الحديث ؟

* **الثانى** : كم عدد الرواة الذين رووا هذا الحديث ؟

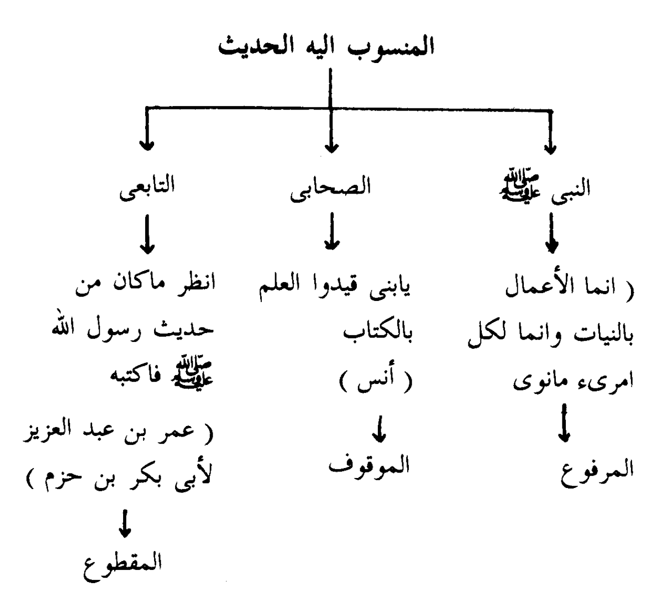
* **الثالث** : كيف حال الرواة الذين رووا هذا الحديث ؟

واجابة التساؤل الأول تحدد ما اذا كان الحديث مرفوعا أو موقوفا أو مقطوعا .

أما اجابة التساؤل الثانى فتحدد ماذا كان الحديث متواترا أو آحادا ، والآحاد ماذا كان غريبا أو عزيزا أو مشهورا .

وأما اجابة التساؤل الثالث فيتحدد بها ماذا كان الحديث مستوفيا لشرائط القبول فيكون مقبولا : صحيحا كان أو حسنا وماذا كان غير مستوف فيكون مردودا وهو الضعيف . بأنواعه المختلفة .

وهذا اجمال نفصله فيما يلى :



ومناط الحكم بالرفع أو الوقف أو القطع على نسبة الحديث الى الرسول أو الصحابى أو التابعى لا على صحة النسبة فى واقع الأمر ثم يكون الحكم - بعد النسبة - بالصحة أو عدمها على أساس توافر شروط الصحة أو عدم توافرها .

ولهذا فان المرفوع قد يكون متصلا وقد يكون منقطعا أو مرسلا أى قد يكون الحكم برفع الحديث الى النبى ﷺ صحيحا ، وقد يكون باطلا .

وكذلك الموقوف والمقطوع قد يكون كل منهما متصلا وقد يكون منقطعا .

أى قد يكون مقبولا وقد يكون مردودا .

ومثال المرفوع صحيحا :

* « لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه »[1]

ومثال المرفوع باطلا :

* « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا » .

لقد اشتهر أن هذا حديث مرفوع الى النبى ﷺ ، ومع هذا فلم يصح من قوله ﷺ ، انما صح من قول عبد الله بن مسعود والحسن البصرى .

وروايته عن ابن مسعود رضى الله عنه بلفظ :

---

(١) متفق عليه اخرجه البخارى فى كتاب الايمان : باب من الايمان أن يحب لأخيه مايحب لنفسه ٥٤٠/١ .

ومسلم فى كتاب الايمان : باب الدليل على أن من خصال الايمان أن يحب لأخيه المسلم مايحب لنفسه من الخير ٦٧/١ ، وابن رجب فى جامع العلوم والحكم ٣٥/٢ (بتحقيقنا) .

« من لم تأمره الصلاة بالمعروف وتنهاه عن المنكر لم يزدد الا بعدا »[١] .

ومن ذلك :

* « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » .

قال الشيخ ناصر الألبانى :

لاأصل له مرفوعا وان اشتهر على الألسنة فى الأزمنة المتأخرة .. وقد وجدت له أصلا موقوفا رواه ابن قتيبة فى غريب الحديث .. من حديث عبد الله بن عمر أنه قال : فذكره موقوفا عليه الا أنه قال : « احرث لدنياك .. الخ » .

ثم أورد طرقه الضعيفة والموضوعة[٢] .

ومن ذلك :

* « اذا صعد الخطيب المنبر فلا صلاة ولاكلام » .

باطل ولاأصل له مرفوعا[٣] .

* * *

---

(١) انظر مايتعلق بالحديث من بحث ودراسة فى سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للأستاذ ناصر الدين الألبانى رقم ٢ج١٤/١ - ١٧ .

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٢٠/١ - ٢١ .

(٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١٣٨/١ - ١٤٠ .

والمأثور عن سعيد بن المسيب قوله :
« خروج الامام يوم الجمعة للصلاة يقطع الكلام » .
وهذا معارض بما صح عنه ﷺ من مثل قوله عليه السلام :
« اذا جاء أحدكم يوم الجمعة وقد خرج الامام فليصل ركعتين » .

* * *

ومن ذلك :
* « حسنات الأبرار سيئات المقربين » .

وقد أشار الغزالى الى أنه من قول أبى سعيد الخراز الصوفى ولا عبرة بقول من عده حديثا[١] .

ومن ذلك :
* « آل محمد كل تقى » .

قال فى التمييز[٢] :
أورده تمام فى فوائده والديلمى من حديث أنس بأسانيد ضعيفة .

* * *

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١/١٥١ .
(٢) تمييز الطيب من الخبيث ص ٣ .

* « أبغض الحلال الى الله الطلاق » .

قال فى التمييز[١] : روى موصولا عن ابن عمرو ومرسلا عن محارب ابن دثار رفعه .

وصحح البيهقى ارساله ، وقال : ان المتصل ليس بمحفوظ .

ورجح أبو حاتم الرازى المرسل أيضا ، وقال الخاطبى : انه المشهور .

* * *

* « اتق شر من أحسنت اليه » .

لاأصل له مرفوعا ، ويشبه أن يكون من كلام بعض السلف[٢] .

* * *

* « اذا حدثتم عنى حديثا يوافق الحق فصدقوه ، وخذوا به : حدثت به أو لم أحدث » .

قال ابن الربيع الشيبانى[٣] :

رواه الدار قطنى والعقيلى عن أبى هريرة مرفوعا ، وهو حديث منكر جدا ، استنكره العقيلى ، وقال : ليس له اسناد يصح .

* * *

(١) تمييز الطيب من الخبيث ص ٤ .

(٢) كشف الخفاء ١/٤٤ .

(٣) فى التمييز ص ١٢ .

* « يكون فى أمتى رجل يقال له محمد بن ادريس ، أضر عليها من أبليس ، ويكون فى أمتى رجل يقال له أبو حنيفة هو سراج أمتى » موضوع[١] .

* « رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر . قالوا : ومالجهاد الأكبر ؟ قال : جهاد القلب » .

قال الحافظ ابن حجر فى « تسديد القوس » : هو مشهور على الألسنة وهو من كلام ابراهيم بن عيلة .

وقال العراقى : رواه البيهقى بسند ضعيف عن جابر .

ورواه الخطيب فى تاريخه عن جابر بلفظ : « قدم النبى من غزاة فقال عليه الصلاة والسلام : قدمتم من خير مقدم ، وقدمتم من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر . قالوا : ومالجهاد الاكبر ؟ قال : مجاهدة العبد هواه » .

والمشهور على الألسنة : « رجعنا من الجهاد الأصغر الى الاكبر » دون باقيه[٢] .

* * *

* « صنفان من أمتى اذا صلحا صلح الناس : الأمراء والفقهاء » وفى رواية : « العلماء » .

---

(١) كشف الخفاء ٢٢/١ .

(٢) كشف الخفاء ٥١٢/١ .

موضوع[١] .

* * *

* « اياكم وخضراء الدمن ، فقيل : وماخضراء الدمن ؟ قال : المراة الحسناء فى المنبت السوء » .

ضعيف جدا ، قال الدار قطنى : تفرد به الواقدى وهو ضعيف . وقال الشافعى : أحاديث الواقدى كلها كذب[٢] .

وقال العجلونى[٣] :

رواه الدار قطنى فى الأفراد والرامهرمزى والعسكرى فى الأمثال وابن عدى فى الكامل والقضاعى فى مسند الشهاب ، والخطيب فى ايضاح الملبس ، والديلمى من حديث الواقدى عن أبى سعيد مرفوعا ، لكن بزيادة « قيل : وماذا يارسول الله ؟ قال : المرأة الحسناء فى المنبت السوء » قال عدى : تفرد به الواقدى ، وذكره أبو عبيد فى الغريب ، وقال الدارقطنى : لايصح من وجه ، ومعناه أنه كره نكاح ذات الفساد فان أعراق السوء تنزع أولادها ، وأصله أن النبات ينبت على البعر فى الموضع الخبيث ، فيكون ظاهره حسنا

---

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٢٥/١ .

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٢٤/١ - ٢٥ .

(٣) فى كشف الخفاء ٣١٩/١ - ٣٢٠ .

وباطنه قبيحا فاسدا ، اذ الدمن جمع دمنه وهى البعر ، وأنشدوا :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى

وتبقى حزازات النفوس كما هيا

ومعنى البيت أن الرجلين قد يظهران الصلح والمودة ، وينطويان على البغضاء والعداوة ، كما ينبت المرعى على الدمن ، وهذ أكثرى أو كلى فى زماننا ، والله المستعان وذكره السخاوى ، وقال القارى : لايكون موضوعا سواء أكان موقوفا أو مرفوعا ، وذكره صاحب تحفة العروس عن عمر موقوفا بلفظ « اياكم وخضراء الدمن ، فانها تلد مثل أصلها ، وعليكم بذات الأعراق ، فانها تلد مثل أبيها وعمها وأخيها»اهـ .

* * *

* « البادىء بالشر أظلم » .

ليس بحديث ، ومثله « البادىء بالشر خسران »[1] .

* * *

* « البر شىء هين ، وجه طليق وكلام لين » .

الأصبهانى فى الترغيب وغيره عن ابن عمر موقوفا من قوله[2] .

* * *

(١) كشف الخفاء ٣٣٣/١ .

(٢) كشف الخفاء ٣٣٣/١ .

* « الخير فى وفى أمتى الى يوم القيامة » .

لاأصل له[١] .

ويغنى عنه كما قال الشيخ ناصر الألبانى قوله ﷺ :

« لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك » .

* * *

* « الدنيا ضرة الآخرة » .

قاله العجلونى : قال النجم : ليس فى المرفوع ، وقد ذكره فى الاحياء من كلام عيسى عليه السلام[٢] .

* * *

* « سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن » .

منكر جدا .

فى اسناده من اتهم بالكذب والوضع ومن ترك حديثه[٣] .

* * *

---

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة ٥١/١ .

(٢) كشف الخفاء ٤٩١/١ .

(٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة ٧٠/١ - ٧٤ .

* « اختلاف أمتى رحمة » .

لاأصل له[١] .

* * *

* « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

موضوع[٢] .

* « أهل بيتى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

موضوع[٣]

* * *

* « تجافوا عن ذنب السخى ، فان الله آخذ بيده كلما عثر » .

قال الصغانى : موضوع ، ورواه الطبرانى وأبو نعيم والبيهقى وقال : اسناده ضعيف عن ابن مسعود بلفظ « تجاوزوا عن ذنب السخى فان الله تعالى آخذ بيده كلما عثر » وفيه أحاديث أخر منها مارواه الخطيب عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بلفظ « تجاوزوا عن ذنب السخى وزلة العالم وسطوة العادل ، فان الله تعالى آخذ بيدهم كلما عثر عاثر منهم »[٤] .

* * *

---

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة ٧٦/١ - ٧٨ .

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة ٧٨/١ - ٧٩ .

(٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة٨٤/١ .

(٤) كشف الخفاء ٣٥٣/١ .

* « شهر رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع الا بزكاة. الفطر » .

أورده ابن الجوزى فى الواهيات وقال : « لايصح ، فيه محمد ابن عبيد البصرى مجهول ، لايتابع عليه » . وقد أقره الحافظ بن حجر على هذا

وقد رد الأستاذ ناصر الألبانى[1] قول الحافظ المنذرى : رواه أبو حفص بن شاهين فى فضائل رمضان وقال : « حديث غريب جيد الاسناد » .

* * *

---

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٥٩/١ - ٦٠ من وجهين : الأول : ثبوت هذا النص فى كتاب ابن شاهين المذكور وقد راجعه فى نسخة خطية جيدة فى المكتبة الظاهرية بدمشق فلم يجد الحديث فيه مطلقا ، ثم لم يجده تكلم على حديث واحد . مما أورده فيه بتصحيح أو تضعيف .

والثانى : على افتراض ثبوت النص المذكور عن ابن شاهين فهو تساهل منه ، والا فأنى للحديث الجودة مع جهالة روايه ، وقد تفرد به كما قال ابن الجوزى وتبعه الحافظ ابن حجر كما سبق .

ثم قال الشيخ ناصر : ان الحديث لو صح لكان ظاهرة الدلالة على أن قبول صوم رمضان متوقف على اخراج صدقة الفطر ، فمن لم يخرجها لم يقبل صومه ، ولا أعلم أحدا من أهل العلم يقول به ، ثم ذكر أن التأويل فى الحديث فرع التصحيح ، والحديث ليس بصحيح ! !

* « تخيروا لنطفكم ، وأنكحوا الاكفاء ، وأنكحوا اليهم » .
قال العجلونى[1] :

رواه ابن ماجه والدارقطنى والحاكم والبيهقى عن عائشة رضى الله عنها مرفوعا ، وكذا عن عمر بلفظ : « وانتجبوا المناكح ، وعليكم بذوات الأوراك فانهن أنجب » رواه الديملى ، ولايصح وفى لفظ عنه : « تخيروا لنطفكم ، وانظروا أين تضعونها » ، وفى لفظه عنه مرفوعا كما ذكره أبو موسى المدينى فى كتاب « تضييع العمر والأيام فى اصطناع المعروف الى اللئام » بلفظ : « فانظر فى أى نصاب تضع ولدك ، فان العرق دساس » . وكلها ضعيفة .

وقال النجم : وعند ابن عدى وابن عساكر عن عائشة بلفظ : « تخيروا لنطفكم ، فان النساء يلدن أشباه اخوانهن وأخواتهن » ، وفى لفظ : « اطلبوا مواضع الأكفاء لنطفكم ، فان الرجل أشبه أخواله » ، ورواه أبو نعيم بلفظ : « تخيروا لنطفكم ، واجتنبوا هذا السواد فانه لون مشوه » .

قال ابن الجوزى : فى سنده مجاهيل .

وقال الخطيب : كل طرقه ضعيفة ، وفى التحفة والنهاية : « تخيروا لنطفكم ، ولاتضعوها فى غير الأكفاء » صححه الحاكم ، واعترض اهـ .

---
(١) كشف الخفاء ١/٣٥٨ .

وفى الشربينى على المنهاج : وأما حديث « تخيروا لنطفكم ولاتضعوها الا فى الأكفاء » فقال أبو حاتم الرازى : ليس له أصل ، وقال ابن الصلاح له أسانيد فيها مقال ، ولكن صححه الحاكم .

* * *

* « تزوجوا ولاتطلقوا ، فان الطلاق يهتز له عرش الرحمن » .

قال العجلونى[١] :

قال الصغانى : موضوع ، لكن عزاه فى الجامع الصغير لابن عدى بسند ضعيف عن على بلفظ : « تزوجوا ولاتطلقوا ، فان الطلاق يهتز منه العرش » وقال ابن الجوزى : حديث : موضوع ، ورواه الطبرانى عن أبى موسى بلفظ : « تزوجوا ولاتطلقوا ، فان الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات » .

* * *

* « تفكر ساعة خير من عبادة سنة - وفى لفظ : ستين سنة » .

قال العجلونى[٢] :

ذكره الفاكهانى بلفظ : فكر ساعة وقال : انه من كلام سرى السقطى ، وفى لفظ ، ستين سنة . وذكره فى الجامع الصغير بلفظ : فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة ، قال النجم : ان

(١) كشف الخفاء ٣٦١/١ .

(٢) كشف الخفاء ٣٧٠/١ .

العراقى قال فى جزء له رويناه من حديث عبد الله بن سلام أنه ﷺ خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون ، فقال : « مالكم تتفكرون ؟ فقالوا : نتفكر فى خلق الله عز وجل ، قال : فكذلك فافعلوا ، تفكروا فى خلقه ، ولا تتفكروا فيه ، فان لهذا المغترب أرضا بيضاء نورها بياضها أو بياضها نورها ، مسيرة الشمس أربعين يوما ، بها خلق من خلق الله لم يعصوا طرفة عين ، قالوا : يارسول الله .. فأين الشيطان عنهم ؟ قال : مايدورن خلق الشيطان أم لا ، قالوا : من ولد آدم هم ؟ قال : لا يدرون خلق آدم أم لا » .

* * *

* « ألسنة الخلق أقلام الحق » .

قال فى المقاصد : لاأصل له ، نعم هو من كلام بعض الصوفية ، ويمكن يكون معناه : الفأل موكل بالمنطق ، وقد مضى فى أخذنا فألك من فيك ، وقال النجم : قلت : رواه الطبرانى عن أشعت بن أبى الشعثاء عن أبيه قال : ذكر الدجال عند عبد الله بن مسعود ، فقال : لاتكثروا ذكره ، فان الأمر اذا قضى فى السماء كان أسرع من نزوله الى الأرض أن تطير على ألسنة الناس[1] .

* * *

(١) كشف الخفاء ٢٠٥/١ .

* « أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم » .

رواه الديلمي بسند ضعيف عن ابن عباس مرفوعا ، وفي اللآليء بعد عزوه لمسند الفردوسي عن ابن عباس مرفوعا قال : وفي اسناده ضعيف ومجهول . ا . هـ .

وقال في المقاصد : وعزاه ابن حجر لمسند الحسن بن سفيان عن ابن عباس بلفظ : « أمرت أن أخاطب الناس على قدرعقولهم » ، قال : وسنده ضعيف جدا ، ورواه أبو الحسن التميمي من الحنابلة في العقل له عن ابن عباس من طريق أبي عبد الرحمن السلمي أيضا بلفظ : « بعثنا معاشر الأنبياء نخاطب الناس على قدر عقولهم » ، وله شاهد على أنه عن سعيد بن المسيب مرسلا[1] .

* * *

* « أدبني ربي فأحسن تأديبي » .

قال السخاوي : رواه العسكري عن علي رضي الله عنه قال : قدم بنو نهد بن زيد على النبي ﷺ فقالوا : أتيناك من غوري تهامة ، وذكر خطبتهم وماأجابهم به النبي ﷺ قال : فقلنا : يانبي الله .. نحن بنو أب واحد ونشأنا في بني سعد بن بكر ، وسنده

---

(١) كشف الخفاء ٢٢٥/١ .

ضعيف جدا . وان اقتصر شيخنا ، يعنى الحافظ ابن حجر ، على الحكم عليه بالغرابة فى بعض فتاويه ، ولكن معناه صحيح وجزم به ابن الأثير فى خطبة النهاية ، وأخرج ابن السمعانى سند منقطع عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : ان الله أدبنى فأحسن تأديبى ، ثم أمرنى بمكارم الأخلاق ، فقال : « **خذ العفو وأمر بالعرف** »[١] .. الآية ، وأخرج ثابت السرقسطى فى الدلائل بسند واه أن رجلا من بنى سليم قال للنبى ﷺ : يارسول الله .. أيدالك الرجل امرأته ؟ قال : نعم اذا كان مفلجا قال : فقال له أبو بكر : يارسول الله .. ماقال لك؟ وماقلت له؟ قال: قال لى: أيماطل الرجل امرأته ؟ قلت : نعم اذا كان مفلسا ، قال : فقال أبو بكر رضى الله عنه : مارأيت أفصح منك ؟ فمن أدبك يارسول الله ؟ قال : أدبنى ربى ، ونشأت فى بنى سعد . ثم قال : وبالجملة فهو كما قال ابن تيمية : لايعرف له اسناد ثابت ، لكن قال فى الدرر : صححه أبو الفضل بن ناصر ، وقال فى اللآلىء : معناه صحيح لكن لم يأت من طريق صحيح ، وذكره ابن الجوزى فى الأحاديث الواهية ، فقال : لايصح ، ففى اسناده ضعفاء لا مجاهيل[٢] .

* * *

(١) سورة الأعراف : ١٩٩ .

(٢) كشف الخفاء ٧٢/١ - ٧٣ وقد ذكر فيه أن أبا الفضل بن ناصر صححه .

* « استعينوا على انجاح حوائجكم بالكتمان ، فان كل ذى نعمة محسود » .

رواه الطبرانى وأبو نعيم بسند ضعيف عن معاذ بن جبل رفعه ، وكذا البيهقى وابن أبى الدنيا والعسكرى والقضاعى بسند فيه سعيد ابن سلام كذبه أحمد ، وأخرجه العسكرى أيضا من غير طريقه بسند ضعيف ، وفيه انقطاع بلفظ : « استعينوا على طلب حوائجكم بكتمانها ، فان لكل نعمة حسدة ، ولو أن أمرا كان أقوم من قدح لكان له من الناس غامز » ، وله طريقة أخرى عند الخلعى فى فوائده عن على رفعه : « استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان لها » ، ويستأنس له ، بما أخرجه الطبرانى عن ابن عباس مرفوعا : « ان لأهل النعم حسادا فاحذروهم » ، وذكر الزيلعى فى سورة الأنبياء من تخريجه جماعة روى الحديث عنهم ، والأحاديث الواردة فى التحدث بالنعم محمولة على مابعد وقوعها ، فلا تكون معارضة لهذه ، نعم ان ترتب على التحدث بها حسد بعده فالكتمان أولى[1] .

* * *

* « حسبى من سؤالى علمه بحالى » .

---

(١) كشف الخفاء ١/١٣٥ .

لاأصل له : أورده بعضهم فى قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام . وهو من الاسرائيليات ولاأصل له فى المرفوع ، وقد ذكره البغوى فى تفسير سورة الأنبياء مشيرا لضعفه فقال :

« روى عن كعب الأحبار أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام .. لما رموا به فى المنجنيق الى النار استقبله جبريل فقال : ياابراهيم .. ألك حاجة ؟ قال : أما اليك فلا ، قال : جبريل فسل ربك ، فقال ابراهيم :

« حسبى من سؤالى علمه بحالى »[1] .

* * *

* « توسلوا بجاهى فان جاهى عند الله عظيم » .

لاأصل له[2] .

* * *

* « الأقربون أولى بالمعروف » .

قال السخاوى : ماعلمته بهذا ولكن قال ﷺ لأبى طلحة : « أرى أن تجعلها فى الأقربين » ، كما رواه البخارى فى باب اذا وقف أو أوصى لأقاربه عن أنس ، قال : وقال ثابت عن أنس : قال

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة ٢٨/١ .

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة ٣٠/١ .

النبى ﷺ لأبى طلحة : « اجعلها لفقراء قرابتك » ، وفى التنزيل

﴿ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ (١)

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (٢)

وفى أسنى المطالب : اشتهر على الألسنة : الأقربون أولى بالمعروف ، وليس بحديث خلافا لمن زعمه ، لكن يشهد له قصة أبى طلحة ، وقوله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ الآية (٣)

* * *

* « من حج البيت ولم يزرنى فقد جفانى » .

موضوع : قاله الحافظ الذهبى فى « الميزان » ، وأورده الصغانى فى (الأحاديث الموضوعة) (ص ٦) . وكذا الزركشى وابن

---

(١) سورة البقرة : ٢١٥ .

(٢) سورة البقرة : ١٨٠ .

(٣) كشف الخفاء ١٨٣/١ .

الجوزى كما فى«الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة للشوكانى[١] .

* * *

* « من عرف نفسه فقد عرف ربه » .
لاأصل له .

قال أبو المظفر بن السمعانى : « لايعرف مرفوعا وانما يحكى عن يحيى بن معاذ الرازى من قوله . وكذا قال النووى : انه ليس بثابت »[٢] .

* * *

* « اطلبوا العلم ولو بالصين ، فان طلب العلم فريضة على كل مسلم » .

رواه البيهقى والخطيب وابن عبد البر والديلمى وغيرهم عن أنس ، وهر ضعيف ، بل قال ابن حبان : باطل ، وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات[٣] .

* * *

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٦١/١ .
(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٩٦/١ .
(٣) كشف الخفاء ١٥٤/١ .

* « أعدى أعدائك نفسك التى بين جنبيك » .

رواه البيهقى فى الزهد باسناد ضعيف ، وله شواهد من حديث أنس ، ويجرى على ألسنة كثيرين : أعدى عدويك بالتثنية فى الموضوعين ، ولأصل له بهذا اللفظ ، والمشهور على الألسنة أعدى عدوك بالافراد فى عدوك[1] .

* * *

هكذا نجد أن تسمية الحديث مرفوعا انما تعتمد على نسبته الى الرسول ﷺ ، وأن هذه النسبة قد تكون صحيحة حين تستوفى الرواية شرائط القبول والصحة ، وقد تكون غير مقبولة وغير صحيحة اذا اختل شرط من شرائط الصحة أو القبول ، وأن العلماء ميزوا هذا من ذاك سواء فى النقل والرواية ، أو فى النقد والدراية وأن فى مراجع الصحيح والحسن غنية عن الضعيف والموضوع .

وعما قليل نتحدث عن شرائط الصحة والقبول ، بيد أننا نقف وقفة يسيرة مع الموقوف لتمييزه عن غيره لكثرة الالتباس فى التسمية فى هذا النوع أكثر من غيره .

---

(١) كشف الخفاء ١/١٦٠ .

وقفة مع الموقوف

المختار فى تعريف الموقوف : أنه مايروى عن الصحابى من قول أو فعل ونحوه ولايتجاوز بالمروى الى الرسول ﷺ سواء أكان متصلا أم منقطعا ، وسواء أكانت النسبة صحيحة أم غير صحيحة كما مضى فى المرفوع .

ولم يخالف فى هذا التعريف الا الحاكم ، فقد شرط صحة النسبة واتصال السند فقد شرح الموقوف بقوله :» أن يروى الحديث الى الصحابى من غير ارسال ولااعضال ، فاذا بلغ الصحابى قال الراوى : انه كان يقول كذا وكذا ، وكان يفعل كذا وكذا ، وكان يأمر بكذا وكذا .

الموقوف بين الاطلاق والتقييد :

أحيانا يقال : هذا حديث موقوف - دون تقييد - .

وأحيانا أخرى يقال : هذا حديث وقفه فلان على نافع ، أو على الزهرى أو على مالك أو على الشافعى .

فى الاستعمال الأول : يكون المراد موقوف الصحابى .

وفى الاستعمال الثانى : يكون المراد بالموقوف مايشمل موقوف الصحابى والتابعى وغيرهما ، ويعين المراد : من وقف الحديث عليه .

مايتوهم أنه مرفوع وهو موقوف :

* مايذكر فيه فعل أو قول للصحابى مع ذكر الرسول ﷺ .

ومن ذلك ماورى عن محمد بن سيرين ، عن المغيرة بن شعبة قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ يقرعون بابه بالأظافير .

قال الحاكم[1] : هذا حديث يتوهمه من ليس من أهل الصنعة مسندا لذكر رسول الله ﷺ وليس بمسند[2] ، فانه موقوف على صحابى حكى عن أقرانه من الصحابة فعلا وليس بسنده واحد منهم .

* ومن ذلك تفسير الصحابى الذى لا يشتمل على اضافة شىء الى الرسول ﷺ .

كما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه فى قول الله عز وجل : ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾[3] قال : تلقاهم جهنم يوم القيامة فتلفحهم لفحة فلا تترك لحما على عظم الا وضعت على العراقيب .

(١) معرفة علوم الحديث ص ١٩ وقيل : ان هذا النوع حرى باطلاعه ﷺ وعلمه به ، فيكون من قبيل المرفوع .

(٢) يريدليس بمرفوع .

(٣) سورة المدثر : ٢٩ .

قال الحاكم[٢] : « وأشباه هذا من الموقوفات فى تفسير الصحابة أى من قبيل الموقوف .

مايتوهم أنه موقوف وهو مرفوع :

* من ذلك :

١ - تفسير الصحابى لآية مع ذكر مايدل على توقفه فى تفسيرها على النبى ﷺ ، ومن ذلك ماإذا ذكر سبب نزول آية فأورد حدثا ثم قال : فأنزل الله عز وجل .

قال الحاكم : فان الصحابى الذى شهد الوحى والتنزيل فأخبر عن آية من القرآن أنها نزلت فى كذا وكذا فانه حديث مسند .

٢ - كل ماجاء عن الصحابى من كل مالا مجال للرأى فيه ، سيما اذا كان الصحابى لم يأخذ عن أهل الكتاب .

كما لو أخبر الصحابى عن بدء الخلق ، أو قصص الأنبياء ، أو الفتن الآتية ، أو مشاهدة القيامة ، أو ثواب مخصوص لطاعة ، أو عقاب على معصية ، أو تحديد لعبادة معينة كصلاة أو زكاة ، ومن ذلك ما جاء عن ابن مسعود من قوله : « من أتى ساحرا أو عرافا فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » .

---

(١) معرفة علوم الحديث ص ٢٠

ومن الموقوف غير المتصل :

ماروى الحاكم من طريق أبى العباس : محمد بن يعقوب ، عن بحر بن نصر عن عبد الله بن دهب ، عن محمد بن عمرو ، عن ابن جريج ، عن سليمان بن موسى قال : قال جابر بن عبد الله :

« اذا صمت فليصم سمعك وبصرك من المحارم ، ولسانك من الكذب ، ودع أذى الخادم ، وليكن عليك وقار وسكينة ، ولاتجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء » .

قال الحاكم[1] : هذا حديث يتوهمة من ليس الحديث من صناعته أنه موقوف على جابر ، وهو موقوف ومرسل قبل التوقيف ، فان سليمان بن موسى الأشدق لم يسمع من جابر ولم يره .

* * *

(١) معرفة علوم الحديث ص ٢١ .

تقسيم الحديث الى متواتر وآحاد

هذا التقسيم يتم بالاجابة على التساؤل الثانى : « كم عدد الرواة الذين رووا الحديث ؟ » بعبارة أخرى : « هل تعددت طرق الرواية للحديث أم لم تتعدد » ؟ .

فالحديث المرفوع أو الموقوف أو المقطوع ان كان الرواة له جمعا عن جمع يحيل العقل تواطؤهم على الكذب ، أو حصوله منهم اتفاقا ، وكان آخر مايئول اليه الطريق وينتهى اليه السند - أمرا حسيا فهو المتواتر ، والا فهو الآحاد .

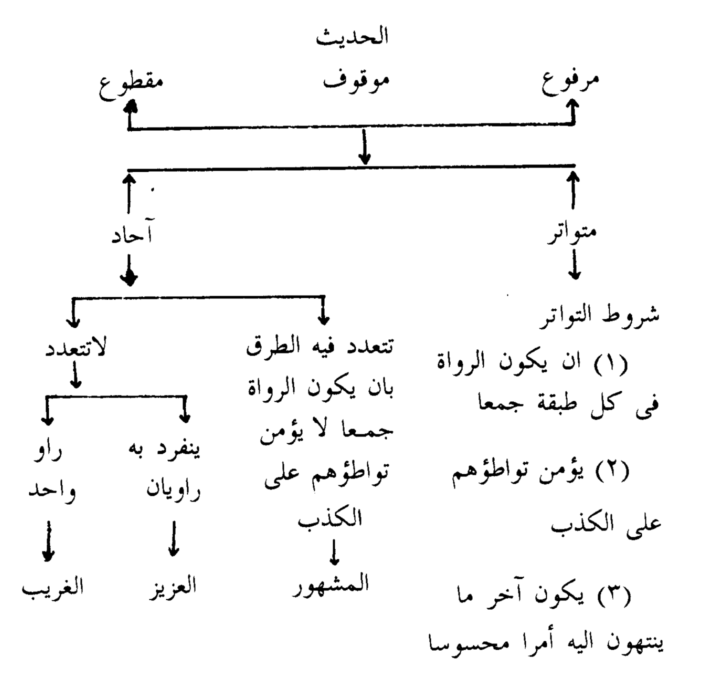
والآحاد ان كان التعدد فى طرق روايته ثلاثة أو أكثر فى كل طبقة فهو المشهور وإن كان التعدد للرواة فى كل طبقة اثنين فأكثر فهو العزيز ، وان تفرد به راو واحد ولو فى طبقة واحدة فهو الغريب

بعبارة أخرى : حين يتحقق الشرطان : التعدد واستحالة التواطؤ على الكذب مع افتراض الانتهاء الى الأمر المحسوس فهو المتواتر ، والا فهو الآحاد .

والآحاد ان تحقق فيه شرط التعدد واختل شرط استحالة التواطؤ فهو المشهور ..

وان اختل شرط الجمع فاما أن يتفرد به راو واحد ، ولو فى

طبقة واحدة فهو الغريب ، أو يتفرد به راويان ولو فى طبقة واحدة فهو العزيز هكذا :



* * *

المتواتر : ماروا‌ه جمع عن جمع يحيل العقل تواطؤهم على الكذب ويكون مستند انتهائهم أمرا حسيا .

ومعنى هذا اشتراط أربعة أمور :

١ - أن يكون الرواة للحديث جمعا .

٢ - أن يروى عن كل واحد من رواة الحديث جمع فى الطبقة التالية ، فالحديث الذى يرويه ثلاثة فى طبقة الصحابة عن النبى ﷺ لابد لتحقيق التواتر أن يرويه عن كل واحد من هؤلاء الصحابة ثلاثة على الأقل من التابعين فيكون الرواة له فى طبقة التابعين تسعة ليتم الحكم بالتواتر فى طرقه ، والطريق الذى يختل فيه هذا الشرط يفقد التواتر . وهكذا .

٣ - أن يحيل العقل تواطؤهم على الكذب ، أو أن يحدث الكذب منهم ولو بمحض المصادفة عادة .

٤ - أن يكون المروى وهو آخر ماينتهى اليه السند أمرا حسيا مدركا باحدى الحواس الخمس من اللمس والشم والذوق والسمع والبصر .

وعند الجمهور أن الحديث متى توافرت له هذه الشروط أفاد العلم اليقينى الضرورى ، ولذلك لايبحث عنه فى مجال القبول والرد .

أما الآحاد فيبحث عنه لفقد شرط تعدد الطرق والرواة من جهة ، ولامكانية الاتفاق على الكذب أو حصوله بمحض المصادفة من جهة أخرى .

والمتواتر فى الحديث نوعان : لفظى ومعنوى :

وضابط اللفظى أن يكون تواتره فى واقعة واحدة ولو بألفاظ مترادفة وأساليب مختلفة ، تتفق فى افادة المعنى الواحد فى الواقعة الواحدة . وضابط المعنوى أن يكون تواتره فى وقائع مختلفة لكنها تشترك فى افادة المعنى الواحد .

مثال المتواتر اللفظى :

« من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

فقد نقله العدد الكثير من الصحابة فمن بعدهم الى يوم الناس هذا ، والصحابة الذين رووه لايقلون عن اثنين وستين نفسا ، ومنهم العشرة المشهود لهم بالجنة .

ومثال المتواتر المعنوى :

ماجاء عن شجاعته ﷺ أو عن كرمه أو عن صفحه وحلمه من المواقف المتعددة التى تنبىء بتواترها عن ثبوت هذه الأخلاق له ﷺ ثبوتا يقينيا ، ويكون العلم بها علما ضروريا .

* * *

الآحاد

هو مالم يبلغ حد التواتر ، بأن اختل فيه شرط من شروطه ، وهو أقسام ثلاثة كما سبق .

والشهرة فى اللغة : الظهور والذيوع والانتشار ، وبهذا يعم المتواتر ، والمستفيض ، والمشهور بين الناس ، والمشهور عند طوائف بعينها من العلماء كالمحدثين والأصوليين ، واللغويين ، والفقهاء ، والنحاة .

والمشهور فى اصطلاح المحدثين :

مارواه جمع عن جمع الى منتهاه ، بحيث يمكن عادة تواطؤهم على الكذب ، أو حصوله منهم اتفاقا .

والعمدة فى الحكم بالشهرة على الحديث هو تحقق هذه الشروط :

١ - أن يكون رواته جمعا عن مثلهم فى كل طبقة .

٢ - أن يمكن تواطؤهم على الكذب ، أو حصوله منهم اتفاقا .

ولهذا يحتاج الى بحث قبل قبوله ، فان توافرت فى رواته شروط القبول كان مقبولا ، والا كان مردودا .

وهذا ماحدا بالعلماء الى افراد الصحيح بالتأليف من جهة ، أو

بيان درجة الحديث من جهة أخرى ، أو افراد المشهور بالتأليف من جهة ثالثة ثم التعقيب على كل حديث بما يطمئن الباحث على درجته من جهة أخرى . ومن ذلك :

١ - كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس . لاسماعيل بن محمد العجلونى الجراحى المتوفى سنة ١٦١٢ هـ .

٢ - تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث . لعبد الرحمن بن على بن محمد بن عمر بن الديبع الشيبانى الشافعى المتوفى سنة ٩٤٤هـ .

٣ - المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للحافظ السخاوى .

٤ - سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للأستاذ الشيخ ناصر الألبانى .

وفى الكتب الثلاثة الأول يذكر الحديث المشهور والمتداول سواء أكان صحيحا أم حسنا أم ضعيفا أم موضوعا ، ثم يعقب عليه ببيان درجته .

أما فى الكتاب الرابع فيذكر مايدل عليه عنوانه .

ومن ذلك عدا ماتقدم :

مثال المشهور صحيحا أو حسنا :

* « فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم » .

قال العجلونى[1] : رواه الترمذى وحسنه عن أبى أمامة مرفوعا ونقل النجم عن الترمذى أنه صحيح .

*« صلاتكم على تبلغنى أينما كنتم » .

* قال العجلونى[2] : رواه أبو داود والنسائى وغيرهما وصححه ابن خزيمة والحاكم وابن حبان وآخرون ... ثم قال : وله شواهد منها عن على مرفوعا : « سلموا على ، فان تسليمكم يبلغنى أينما كنتم » .

وهو حديث حسن .

* « شر الطعام الوليمة : يدعى اليها الأغنياء وتترك الفقراء . ومن ترك فقد عصى الله ورسوله » .

قال العجلونى[3] :

متفق عليه عن أبى هريرة موقوفا ، ورواه مسلم أيضا مرفوعا لكن بلفظ : « يمنعها من يأتيها ، ويدعى اليها من يأباها ، ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله » .

(١) كشف الخفاء ١١١/٢ .
(٢) كشف الخفاء ٣٢/٢ .
(٣) كشف الخفاء ١١/٢ .

* « أحب الأسماء الى الله ماعبد وحمد » .

لاأصل له[١] .

* « أحبوا العرب لثلاث : أني عربي ، والقرآن عربي ، ولسان أهل الجنة عربي » .

موضوع[٢] .

* « اذا أكلتم فأفضلوا » .

قال النجم : لم أجده حديثا ، بل في الحديث مايعارضه كحديث مسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ أمر بلعق الأصابع والصحفة ثم ذكر أن في الحديث : « اذا شربتم فأسئروا » . قال : هذا في الشرب خاصة[٣] .

* « اذا حدثتم عني بحديث يوافق الحق فصدقوه وخذوا به حدثت به أو لم أحدث » .

---

(١) كشف الخفاء ٥٢/١ ، وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ح٤١١ .

(٢) كشف الخفاء ٥٥/١ وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ح ١٦٠ وقد رد الأستاذ ناصر الألباني على ماذهب اليه صاحب كشف الخفاء بشأن الحديث ردا علميا موضوعيا .

(٣) كشف الخفاء ٨٥/١ - ٨٦ .

موضوع[١] .

* « ارحموا من الناس ثلاثة : عزيز قوم ذل ، وغنى قوم افتقر ، وعالما بين جهال » .

حديث منكر ، أسانيده واهية ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات[٢] .

* « ان لكل شيء قلبا ، وان قلب القرآن يس ، من قرأها فكأنما قرأ القرآن عشر مرات » .

موضوع[٣] .

* « الجنة تحت أقدام الأمهات » .

منكر مضطرب الاسناد[٤] .

* « حب الوطن من الايمان » .

موضوع[٥] .

* « الحى أفضل من الميت » .

---

(١) كشف الخفاء ٨٩/١ - ٩٠ .

(٢) كشف الخفاء ١٢٥/١ - ١٢٦ .

(٣) كشف الخفاء ٢٦٩/١ ، وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ح١٦٩ .

(٤) كشف الخفاء ٤٠١/١ وتمييز الطيب من الخبيث ص ٦٢ .

(٥) كشف الخفاء ٤١٣/١ .

ليس بحديث ولايصح معناه على الاطلاق[1] .

* « خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء » .

غريب جدا ، منكر ، لااسناد له ، من الواهيات التى لايعرف لها أصل وان كان معناه صحيحا لكن ليس كل ماصح معناه صح قول النبى ﷺ له .

تعقيب :

هكذا نجد أنه لا ارتباط بين شهرة الحديث وبين الحكم عليه بالصحة ، كما أنه لا ارتباط بين غرابة الحديث وبين الحكم عليه بالضعف ! !

فكم من حديث مشهور بين الناس وهو غير صحيح ! ؟

وكم من حديث غريب وهو صحيح أو حسن ! ؟

ذلك أن مناط الحكم بالشهرة أو الغرابة هو تعدد طرق الرواية أو عدم تعددها .

أما مناط الحكم بالصحة أو الضعف فهو توفر شروط القبول أو عدم توفرها .

ولاتلازم بين الأساسين فقد يجتمعان ، وقد ينفرد أحدهما .

* * *

(١) كشف الخفاء ١/٤٤٤ .

العزيز :

هو فى اللغة اما أن يكون مأخذه مما يدل على القوة أو ممايدل على القلة ، لأنه اما أن يكون من عز يعز بالكسر : اذا قل بحيث لايكاد يوجد ، واما من عز يعز : اذا اشتد وقوى .

وفى الاصطلاح :

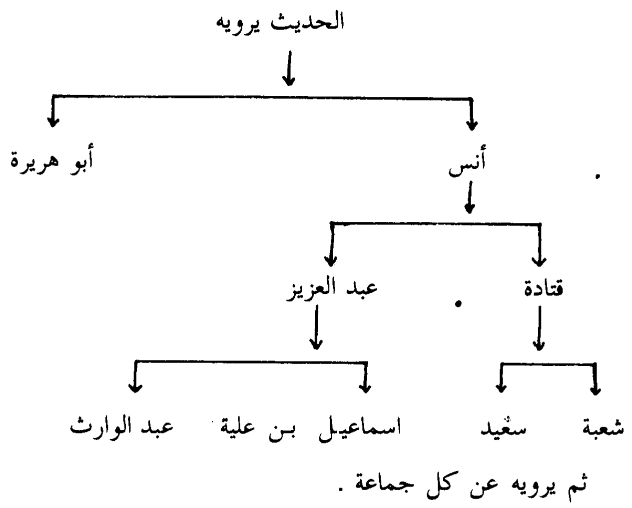
ماجاء فى طبقة من طبقاته أو أكثر من طبقة : اثنان ولم يقل فى أى طبقة من طبقاته عنهما .

أو بعبارة أخرى : ماتفرد بروايته اثنان ولو فى طبقة واحدة . مثاله ماروى البخارى ومسلم من قوله ﷺ :

« لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين » .

فقد رواه من الصحابة أنس وأبو هريرة .

واذا تتبعنا رواية الحديث من طريق أنس رأينا رواته عنه : قتادة وعبد العزيز بن صهيب ، وعن قتادة يرويه : شعبة وسعيد ، وعن عبد العزيز بن صهيب اسماعيل بن علية وعبد الوارث هكذا .



ثم يرويه عن كل جماعة .

* * *

الغريب

الغريب فى اللغة مأخوذ من الانفراد عن الوطن والنزوح منه ، وفى الاصطلاح مارواه راو منفردا بروايته فلم يروه غيره ، أو انفرد بزيادة فى متنه ، أو اسناده ، سواء انفرد به مطلقا أو بقيد كونه عن امام معين .

والأول : الغريب المطلق .

والثانى : الغريب النسبى .

أو هو ماتفرد به راو ولو فى طبقة من طبقاته .

وهو بدوره قد يكون صحيحا وقد يكون غير صحيح ، لأن الحكم بالغرابة يتأسس على أمر كمى وهو عدد الرواة الذين رووه ، وتفرد راو بروايته .

أما الحكم بالصحة أو بالقبول فيتأسس على أمر كيفى ، وهو حال الرواة الذين رووه واستيفاؤهم لشرائط الصحة الا أن الغالب فيه أنه غير صحيح .

قال الامام مالك : « شر العلم الغريب ، وخير العلم : الظاهر الذى قد رواه الناس » .

وقال الامام أحمد : « لاتكتبوا هذه الغرائب ، فانها مناكير وغالبها من الضعفاء » .

ومن الغريب الصحيح حديث : « انما الأعمال بالنيات » فلم يصح الا من طريق عمر ، وقد تفرد به عن عمر : علقمة بن وقاص الليثى ، وتفرد به عن علقمة : محمد بن ابراهيم التيمى ، وتفرد به عن التيمى ، يحيى بن سعيد .

وعن هذا : اشتهر واستفاض فى الآفاق ، وهو من أصح الصحيح .

* * *

تقسيم الحديث الى مقبول ومردود
أو تقسيمه الى صحيح وحسن وضعيف

قلنا : ان المتواتر يفيد العلم الضرورى .

أما الآحاد فيفيد الظن مالم تكن معه قرينة دالة على القطع واليقين .

ولهذا فان الآحاد بأقسامه : المشهور والعزيز والغريب ينقسم الى مقبول ومردود .

فالمقبول : ماتوافرت فيه شرائط القبول ، وبهذا يترجح صدقه على كذبه ، ويصلح للاحتجاج به ، والعمل على أساسه .

والمردود : ما اختل فيه شرط من شروط القبول ، ولهذا لايترجح صدقه ، ولايصلح للاحتجاج به ، ولاللعمل على أساسه .

وشرائط المقبول خمسة :

١ - اتصال السند .

٢ - عدالة الراوى .

٣ - ضبطه .

٤ - السلامة من الشذوذ .

٥ - السلامة من العلة الخفية القادحة .

وللضبط درجات : عليا ووسطى ودنيا .

فان اشتمل الحديث على كل هذه الشروط وكان الراوى فى الدرجة العليا من الضبط والاتقان بأن كان تقديره فى ذلك ٨٠ فى المائة فأعلى كان الحديث صحيحا وهو مايكون الضبط فيه أتم .

وان اشتمل على شرائط القبول وكان الراوى فى الدرجة الوسطى أو الدنيا فى الضبط والاتقان ، وذلك فيما اذا كانت درجة الضبط عنده ٥٠ فى المائة فأعلى الى مادون ٨٠ فى المائة كان الحديث حسنا ، وهو ماكان الضبط فيه أقل أو أخف .

فاذا اختل شرط من هذه الشروط كان الحديث مردودا وهو الضعيف .

* * *

رواية الحسن والضعيف من طريق آخر :

لكن الحسن : اذا روى من طريق آخر مماثل أو من طريقين اذا كان الضبط أقل : ارتقى الى درجة الصحيح ، أى لغيره .

كما أن الضعيف اذا روى من طريق آخر يمكن أن يجبر النقص الذى فى الطريق الأول يتقوى ويصبح ح[illegible] لغ[illegible]ه .

والا فهو كما هو : ضعيف مردود .

ويتحصل من هذا أقسام خمسة :

١ - الصحيح لذاته .

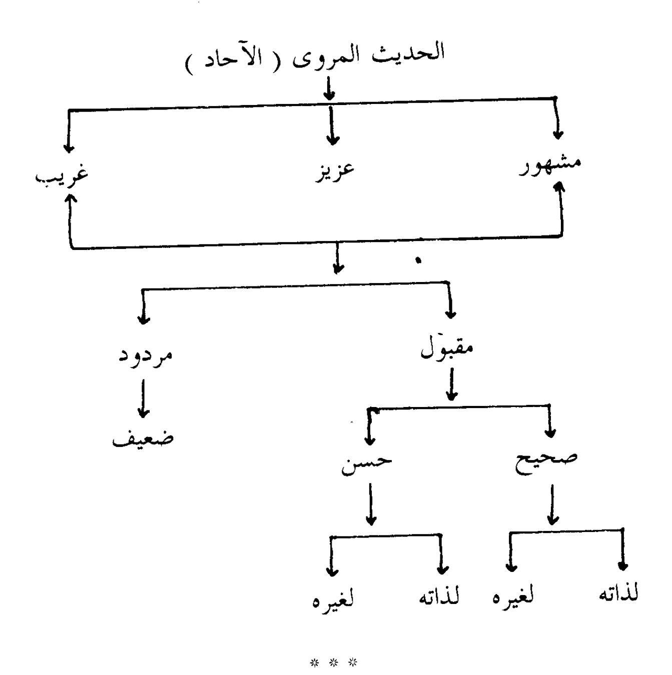
٢ - الصحيح لغيره .

٣ - الحسن لذاته .

٤ - الحسن لغيره .

٥ - الضعيف .

واجمال ذلك :



* * *

الانواع الخمسة

١ - الصحيح لذاته :

عند المتأخرين : الحديث المسند الذى يتصل اسناده بنقل العدل الضابط ضبطا تاما عن مثله الى منتهاه دون شذوذ أو علة .

عند المتقدمين :

مااتصل اسناده وعدلت نقلته .

والعدالة تتضمن الضبط .

ويبقى الشاذ وهو ماخالف فيه الثقة من هو أوثق منه . والمعلل بعلة خفية مالم تظهر علته .

المتقدمون يعتبرون النوعين من الصحيح .

والمتأخرون لايعتبرونهما منه .

٢ - الصحيح لغيره :

هو الحسن لذاته المروى من طريق آخر مماثل أو من طريقين اذا كان الضبط أقل .

٣ - الحسن لذاته :

هو مااتصل اسناده بنقل عدل خف ضبطه عن مثله الى منتهاه دون شذوذ أو علة .

٤ - الحسن لغيره :

هو الضعيف الذى يروى من طريق آخر يمكن جبره به .

وتتوقف معرفة الحسن لغيره على معرفة مايقبل الجبر من الضعيف وهو مايعرف عند المحدثين بالحديث الذى يعتبر به - أى يحفظ ويكتب الى أن يتبين هل يقبل أو لايقبل .

فالحديث الذى يعتبر به هو مايكتب للاعتبار به فى المتابعات والشواهد .

والذى لايعتبر به هو مالايقبل الجبر وهو الضعيف المردود . وهذا وذاك أمر يحتاج الى دراسة .

وهذا اجمال نسأل الله أن يعين على تفصيله ودراسته فى الجزء التالى .•

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *



محتـويـات الرسالـــة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

* * *

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع | الصفحة



مطبعة نهضة مصر